

اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة

محمد إبراهيم سعد النادي*

المقدمة

الحمد لله الذي وفق من أراد به خيرًا للتفقه في الدين، وهدى بفضل من شاء إلى طريقه المستقيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيّه من خلقه وخليله، رضي الله تعالى عن أصحابه وأزواجه وآل بيته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعدّ اختيار جنس الجنين من المسائل المهمة لأنها تتعلق بالحياة الإنسانية وما سيؤول إليه الجنين المستقر في الرحم، والنفس الإنسانية محور الحياة وأساس الوجود ومحط التكليف، وغاية الجزاء المرتجى، هذه النفس التي أنيط بها من عظيم الأمانة والمسئولية ما ناءت عن حمله السماوات والأرض والجبال، من هنا حرص الإسلام على هذا الإنسان بدءًا من كونه جنينًا في بطن أمه، وخروجه إلى الحياة طفلًا، حتى صيرورته شيخًا كبيرًا.

وليت القول الفصل في مسألة اختيار جنس الجنين يتأتى إن فتحنا كتابًا فنقلنا ما فيه، ولكن الله بجانب ما أنزله من تشريع لم يعف الأعين من أن تبصر ولا الآذان من أن تسمع ولا الأفئدة من أن تفكر.. فقد جرت سنة الله أن تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا، وأدرك هذا فقهاؤنا الأوائل فكانت لهم الآراء تختلف وتتفق، بل كان للشافعي مذهبان، فيقال: قال في القديم، وقال في الجديد، بل إن عمر ليجيب عن السؤال إجابتين بينها زمان، فيقول: أفئتنا بما علمنا ونفتي بما نعلم.

لذا عقدت العزم على بيان الحكم الشرعي لاختيار جنس الجنين مفصلاً ومبيناً أقوال الفقهاء وما ورد عليها من مناقشات وردود بهدف الوصول إلى الرأي الراجح من غير تعصب لمذهب بعينه، داعياً

* أستاذ مساعد للفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان.

المولى سبحانه أن يمن عليّ بالتوفيق والإخلاص في النية والقول والعمل، وأن يفتح لي بخير وأن يختم بخير وهو خير الفاتحين، وأن يتقبل مني هذا العمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: التعريف بالجنين واختياره

المطلب الأول: تعريف الجنين والمراد من اختياره

الفرع الأول: تعريف الجنين

الجنين في اللغة: الولد ما دام في البطن، والجنين كل مستور وسمي الجنين جنيناً، لأنه استجن في

البطن، أي: استتر واختفى^(١)

الجنين في اصطلاح الفقهاء

لا يخرج معنى الجنين في اصطلاح الفقهاء عن المعنى اللغوي وهو الولد ما دام في البطن غير أن

الفقهاء اختلفوا فيما يصدق عليه لفظ الجنين حال سقوطه وقبل تمام خلقه ونفخ الروح فيه.

وعرّفه الأحناف: بأنه الولد ما دام في الرحم ويكفي استبانة بعض خلقه كظفر وشعر^(٢). وعرّفه

المالكية: بأنه ما طرحته من مضغة أو علقة أو ما يعلم أنه ولد^(٣). وعرّفه الشافعية: بأنه ما كان في البطن

وأقل ما يكون به جنيناً أن يفارق المضغة والعلقة حتى يتبين منه شيء من خلق آدمي إصبع أو ظفر أو عين أو

ما أشبه ذلك^(٤). وعرّفه الحنابلة: بأنه ما تبين فيه خلق إنسان ولو خفياً^(٥).

١- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٥، ص ٢٠٩٤، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ١٣، ص ٩٢، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٦٢.

٢- محمد أمين الشهير بابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج ٦، ص ٥٨٧.

٣- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ج ٦، ص ٤٨٣.

٤- علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج ١٢، ص ٣٨٥، أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل، بحر المذهب في فروع المذهب الشافعي، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٩م، ج ١٢، ص ٣٥٣.

٥- منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، كشف القناع، شرف الدين بن موسى الحجاوي المقدسي، متن الإقناع، دار الكتب العلمية، ج ٦، ص ٢٣.

بالنظر إلى هذه التعريفات نجد أن الأحناف والشافعية أخرجوا من التعريف العلقة والمضغة غير مستبانة الخلقة واشترطوا استبانة الخلق كله أو بعضه، وبالنظر إلى تعريف الخنابلة نجد أنهم أخرجوا النطفة والعلقة عند عدم التصور وبذلك يكون تعريفهم غير جامع، أما المالكية فشمل تعريفهم المضغة والعلقة وما يعلم أنه ولد فتعريفهم جامع مانع لشموله على ما يطلق عليه الجنين ومنع دخول غيره فيه.

والجنين في اصطلاح الأطباء: البويضة المخصبة بالحيوان المنوي والآخذة في الانقسام والنمو من بداية تكوينها وحتى الولادة^(٦)، ومن علماء الأجنة من يطلق الجنين على الفترة الواقعة بين انفراد البويضة الملقحة في جدار الرحم ونهاية الأسبوع الثامن ثم يطلقون عليه بعد ذلك اسم "مُحْمِل" إلى أن يولد^(٧).

الفرع الثاني: المراد باختيار جنس الجنين

يراد باختيار جنس الجنين: ما يقوم به الزوجان من الأعمال الطبيعية بنفسيهما أو الإجراءات الطبية بواسطة طبيب متخصص بهدف تحديد ذكورة الجنين أو أنوثته^(٨).

المطلب الثاني: جنس الجنين من الناحية العلمية

يقرر علماء الوراثة بأن عملية تحديد جنس الجنين من الناحية التكوينية تعود إلى التقاء زوجين من الصبغيات "الكروموسوم"^(٩) على وفق ترتيب معين ينتج عنه المولود الذكر وترتيب آخر ينتج عنه المولود الأنثى^(١٠).

- ٦- عطا عبد العاطي السنباطي، بنوك النطف والأجنة، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٦.
- ٧- محمد نعيم ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، ط ٤، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٥٢.
- ٨- خالد بن زيد الوديناني، "اختيار جنس الجنين"، بحث منشور ضمن السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ، ج ٢، ص ١٦٦٧.
- ٩- الصبغيات: تراكيب موجودة في نواة الخلية، وتنتقل بواسطتها الصفات الوراثية من جيل لآخر، وتبدو هذه المادة الوراثية كشبكة يصعب تمييز أطرافها وحدودها في الحالات العادية: وفي مرحلة انقسام الخلية تبدأ هذه المادة تتراص على هيئة أزواج وتصبح واضحة يمكن رؤيتها بالميكروسكوب. عوادي زبير، "الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية والعلاج الجيني: دراسة فقهية"، رسالة دكتوراة مقدمة لكلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر ٢٠١٦م، ص ١٩.
- ١٠- عبد الناصر بن موسى أبو البصل، "تحديد جنس الجنين" بحث منشور ضمن أعمال وبحوث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي، المجلد الثالث، ص ٣٦٩.

وتركيب الكروموسومات كان سرا مغلقا إلى أن تم اكتشاف تركيب الحمض النووي (DNA) عام ١٩٥٣م على يد العالمين جيمس واطسون^(١١) وفرنسيس كريك^(١٢) وتبين للعلماء المتخصصين أن خلق الإنسان يبدأ من خلية واحدة وأن هذه الخلية تحتوي على ثلاث وعشرين زوجا من الكروموسومات^(١٣) تحمل أسرار الإنسان، اثنان وعشرون منها مسئولة عن بنية الجسم وصفاته وواحد منها فقط مسئول عن تعيين الجنس ذكرا أم أنثى^(١٤)، ومن المعلوم لدى أهل الاختصاص أن خلايا الرجل تحتوي على الكروموسومات (XY) وخلايا المرأة (XX) ويأتي فرد من هذه الأزواج من الأب بينما يأتي الآخر من الأم، وهناك زوج واحد من الكروموسومات في كل خلية هو المسئول عن تحديد جنس الفرد، وبينما تحتوي الخلايا الجسمية على فردي هذا الزوج، نجد أن الخلايا الجنسية محتوية على فرد واحد فقط، بسبب كونها لا تحتوي إلا على نصف المجموعة الكروموسومية أي على ثلاثة وعشرين فردا فقط، وهذا يعني أن كل بويضة تحتوي على الكروموسوم الجنسي (X) بالإضافة إلى اثنين وعشرين كروموسوم جسيما بينما تكون الحيوانات المنوية على نوعين: فهي إما أن تكون محتوية على الكروموسوم الجنسي (X) بالإضافة إلى اثنين وعشرين كروموسوم جسيما أو الكروموسوم الجنسي (Y) بالإضافة إلى اثنين وعشرين كروموسوم جسيما، ويعتمد نوع الوليد على جنس الحيوان المنوي المخصب للبويضة فعندما يساهم الذكر بحيوان منوي يحتوي على كروموسوم (X) والأنثى ببويضتها المحتوية بالضرورة على كروموسوم (X) فإن جنس الجنين سيكون أنثى أما إذا ساهم الذكر

١١ - جيمس واطسون: عالم أحياء جزيئية وبيولوجي وكيميائي أمريكي ولد عام ١٩٢٨م، وضع مع كريك تصورا لتركيب الحمض النووي عام ١٩٥٣م نال على إثره جائزة نوبل في الطب عام ١٩٦٢م مناصفة مع زميله كريك، أثارت آراؤه جدلا في عام ٢٠٠٧م لدفاعه عن حق المرأة في الإجهاض، وعندما صرح بأن السود أقل ذكاء من البيض. موسوعة

ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wiki>

١٢ - فرنسيس كريك: فيزيائي وعالم كيمياء حيوي بريطاني ولد عام ١٩١٦م وتوفي عام ٢٠٠٤م. موسوعة ويكيبيديا <http://ar.wikipedia.org/wiki>

١٣ - من الجدير ذكره: أن خلايا الكائنات الحية تختلف في عدد الكروموسومات لكل نوع عدد معين، فمثلا تحوي خلايا البصل على ١٦ صبغيا والطماطم على ٢٤ صبغيا والبازلاء على ١٤ صبغيا والملفوف على ٤٨ صبغيا وفي الذرة الصفراء على ٢٠ صبغيا وفي الإنسان على ٤٦ صبغيا والبقرة على ٦٠ صبغيا والكلب على ٧٨ صبغيا والحمام على ٨٠ صبغيا... وأقل عدد يوجد في خلايا دودة الاسكاريس صبغيان فقط. علي صالح، الخلية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٢م، ص ١١٣.

١٤ - عمر بن محمد بن إبراهيم بن غانم، أحكام الجنين في الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٦٥.

بحيوان منوي يحتوي على كروموسوم (Y) والأنثى بيضتها المحتوية بالضرورة على كروموسوم (X) فإنه بعد التخصيب سيكون ذكرا (XY) إن شاء الله (١٥).

وبما أن الأم (البيضة) تعطي دائما شارة الأنوثة (X) فإن الحيوان المنوي هو الوحيد الذي يحدد بإرادة الله نوع الجنين ذكرا أم أنثى، إذ أنه يحمل شارة الذكورة (Y) أو يحمل شارة الأنوثة (X) وتبقى الآية القرآنية إعجازا علميا كاملا: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

فالنطفة التي تمنى زوجان: حيوان منوي مذكر وحيوان منوي مؤنث، والنطفة التي تمنى تقرر نوعية الجنين وجنسه، وفي هذا الإعجاز ما يكفي لفريق من الرجال فكر في طلاق امرأته والتخلص منها كلما جاءته بمولود أنثى دون تفكير أو وازع أن هذا عطاء من الله عز وجل (١٧).

المطلب الثالث: مستويات تحديد جنس الجنين

لتحديد جنس الجنين ثلاث مستويات

المستوى الأول: الصبغي (الكروموسومي) ويتحدد بأمر الله تعالى منذ لحظة الإخصاب الأولى، فإذا لقح حيوان منوي يحمل شارة (Y) الذكورة البيضة (X) فإن الجنين سيكون ذكرا بإذن الله، أما إذا كان الحيوان المنوي يحمل شارة (X) الأنوثة فإن الجنين سيكون أنثى بإذن الله (١٨).

المستوى الثاني: الغددي وهذا يتحدد بإذن الله تعالى في الأسبوع السادس والسابع من التلقيح، وتظهر خلايا الغدة التناسلية في الجنين في الأسبوع الثالث من عمره ثم تنتقل هذه الخلايا إلى الحدبة التناسلية في الأسبوع الخامس، ولكن لا يمكن معرفة الغدة التناسلية في الجنين قبل أن يتم، الأسبوع السادس ويدخل في السابع، لأنها قبل ذلك تكون غير متميزة، فتشكيلة الغدة التناسلية لا تتم إلا بعد ٤٢ يوم من لحظة التلقيح وأما تكوين الأعضاء التناسلية الداخلية والخارجية فلا تتم إلا بعد تكوين الجلد لأن الأعضاء

١٥- محمد الربيعي، الوراثة والإنسان، (عالم المعرفة) يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ص ١٤ وما بعدها، مأمون شفقة، القرار المكين، دار الآداب الشارقة، ط٢، ١٩٨٧م، ص ١٦١، عباس أحمد محمد الباز، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار الفنائس، الأردن، ط١، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٨٥٥.

١٦- سورة النجم، الآية: ٤٥، ٤٦.

١٧- عمر بن محمد بن إبراهيم بن غانم، أحكام الجنين في الفقه الإسلامي، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

١٨- محمد الربيعي، الوراثة والإنسان، ص ١٤، محمد علي البار، "مشكلة الخنثى بين الطب والفقه"، بحث منشور ب: مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، العدد السادس، ص ٣٦٥.

التناسلية الخارجية تنمو من الجلد^(١٩) وهذا ما يؤكد حديث حذيفة بن أسيد الغفاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكا، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب أجله، فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص"^(٢٠).

المستوى الثالث: مستوى الأعضاء التناسلية ظاهرة وباطنة، فالباطنة في الأنثى هي المبيضان والرحم وقناتي الرحم والمهبل، والباطنة في الذكر فهي الحبل المنوي والحويصلة المنوية والبروستاتا وغدد كوبر وتكون هذه الأعضاء غير متميزة حتى الأسبوع التاسع، ثم تظهر في الأسبوع الثاني عشر^(٢١).

المطلب الرابع: معرفة نوع الجنين عبر التاريخ

منذ تاريخ قديم والإنجاب يحتل مكانة رائدة في فكر البشر، وقد شغل أمر تحديد جنس الجنين ومعرفة نوعه شعوبا وأجناسا شتى على مر التاريخ، فميل البشر إلى إنجاب الذكور دون الإناث كان ميزة تميز كل الحضارات تقريبا، ولهذا ظهر وأد البنات في الحضارات القديمة وحتى عند العرب قبل بزوغ فجر الإسلام. وبهذا نجد أن فكرة التحكم في جنس المولود كان موضوعا لا يكاد يفارق الفكر الإنساني قديما^(٢٢) وقد اعتمدوا على طرق تقوم بشكل أساسي على أدوية شعبية وخرافات وسحر، وإلى وقت قريب كان هناك من ينصح المرأة بحمية أو الجماع في وقت معين أو بتكرار معين للوصول إلى حمل ذكر أو أنثى^(٢٣) وبيان ذلك ما يلي:

- ١٩- فادية محمد توفيق أبو عيشة، "موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين"، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات درجة الحصول على الماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية فلسطين، ٢٠١٢م، ص ٨٣، ٨٤.
- ٢٠- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج ٤، ص ٢٠٣٧، رقم: ٢٦٤٥، وابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، ج ١٤، ص ٥٢، حديث رقم: ٦١٧٧.
- ٢١- محمد علي البار وزهير السباعي، الطبيب أدبه وفقهه، دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠٠٥م، ص ٣١٣، ٣١٤.
- ٢٢- النحوي سليمان، "التلقيح الصناعي في القانون الجزائري والشريعة الإسلامية"، رسالة دكتوراة مقدمة لكلية الحقوق، جامعة الجزائر، ٢٠١٠-٢٠١١م، ص ٤٤١.
- ٢٣- ندى الدقر ويوسف عبدالرحيم بويس، "معرفة جنس الجنين والتدخل لتحديده"، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر الهندسة الوراثية بين الشريعة والقانون، الجزء الأول، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، ص ٢١٠.

أولاً: تحديد جنس المولود عند اليونانيين

لقد هيمنت نظريات علماء اليونان على الفكر عدة قرون حيث كانت حضارتهم قمة الحضارات في ذلك الوقت ولهم نظريات حول تحديد جنس الجنين منها:

أ- نظرية أبوقراط^(٢٤): وتقرر أن رحم المرأة مؤلف من شطرين: أيمن وأيسر، ففي حال أراد الزوجان الحصول على مولود ذكر كل ما عليها فعله هو الإضجاع على الجانب الأيمن أثناء الجماع وعلى الجانب الأيسر في حال أرادوا إنجاب أنثى^(٢٥).

ب- نظرية أرسطو^(٢٦): وتتمحور في أن بذور الرجل (الحيوانات المنوية) هي الأساس في تكوين المولود والمرأة مجرد وعاء بارد، فالمرأة تمثل الجزء البارد والرجل الجزء الحار ويعتمد تحديد جنس المولود على الحرارة الكامنة التي يزودها الذكر للأنثى، ويخص أرسطو الخصية اليمنى بأنها تحتوي على بذور تعطي حرارة كامنة أكبر وبالتالي تحدد جنس المولود الذكر أما الخصية اليسرى فتعطي بذور حرارتها الكامنة أقل فتؤدي لمولود أنثى^(٢٧).

٢٤- أبو قراط بن هيراكليدس: أبو الطب وأعظم أطباء عصره، ولد سنة ٤٦٠ قبل الميلاد وعاش خمسًا وتسعين سنة، تعلم خلالها الطب من أبيه وجده وبرع فيه، أول مدون لكتب الطب، ومخلصه من آثار الفلسفة وظلمات الطقوس السحرية. من أشهر الشخصيات على مر التاريخ في كل العصور وكل المجالات، ونسبت له الكثير من المؤلفات، صاحب فكرة القسم الشهير الذي يقسمه الأطباء قبل مزاولة مهنة الطب. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٤٣ وما بعدها، يوسف بن اليان بن موسى سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م، ج ١، ص ٢٢ وما بعدها.

٢٥- <http://www.aljazeera.net> <http://www.ebnmaryam.com/vb/t190754.html>

٢٦- أرسطوطاليس بن نيقوماخوس ويقال اختصارًا: أرسطو، فيلسوف يوناني وثني مشهور كان تلميذ أفلاطون الحكيم، وكان أفلاطون يقدمه على غيره من تلاميذه، وبه ختمت حكمة اليونانيين، أسس مذهب "فلسفة المشائين" له مؤلفات عديدة، توفي سنة ٣٢٢ ق. م. عمر بن أحمد بن هبة الله كمال الدين بن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، دار الفكر، ج ٣، ص ١٣٤١ وما بعدها، لويس معلوف اليسوعي، المنجد في الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٥، ١٩٨٦م، ص ٣٤.

٢٧- "اختيار جنس المولود قبل الحمل.. حقيقة أم خيال؟" مقال بجريدة الفرات، العدد: ١٢٣٣ <http://furat.alwehda.gov.sy/node>

ويرى أرسطو أنه كلما عجز العنصر المكون (الذكر) عن أن تكون له الغلبة، ولم يستطع لنقص حرارته أن يطبخ المادة، أو يشكلها في شكله هو، انتقلت هذه المادة إلى صورة الأنثى^(٢٨).

ج- نظرية جالينوس^(٢٩): وتقرر أن الأنثى لها خصيتان (المقصود هنا المبيضين) كما للرجل وهي تنتج بذورًا كالرجل أيضًا، وآلية تحديد جنس المولود بحسب نظريته تنص على أنه عندما تتحد بذرة رجل صادرة من الخصية اليمنى مع بذرة امرأة صادرة من الخصية اليمنى ينتج المولود الذكر وكذلك الأمر بالنسبة إلى البذور المنتجة من الخصية اليسرى لكل من الرجل والمرأة فينتج مولود أنثى^(٣٠).

د- نظرية انكسا غوارس^(٣١): اعتقد انكسا غوارس أن تحديد جنس المولود يمكن التحكم به عن طريق ربط إحدى الخصيتين أو استئصالها، أو القيام بعصر الخصية اليسرى بشدة أثناء الجماع لضمان إنجاب مولودًا ذكرًا^(٣٢).

وقد اعتقد هذا الاعتقاد الهنود والفرنسيون فكان الرجل الهندي يحكم قبضته على الخصية اليسرى لنفس السبب، كما كان الرجل الفرنسي يقوم باستئصال خصيته اليسرى على وجه الإطلاق لمنع تكون الإناث^(٣٣) وجميع هذه الطرق والنظريات لم يكن لها مستند علمي، وإنما كانت ظنون وتخمينات، وقد بددها العلم الحديث^(٣٤).

-
- ٢٨- ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ٧، ص ٥٠٠.
- ٢٩- جالينوس بن كلاوديوس: طبيب وفيلسوف يوناني، من أعظم الأطباء في العصور القديمة ولد عام ١٢٩م وعاش سبعا وثمانين سنة، منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة وعالم معلم سبعين سنة. ابن أبي أصيبعة، عيون الأئباء في طبقات الأطباء، ص ١٠٩. <https://ar.wikipedia.org>
- ٣٠- حسين محمد حسين، "النظريات الجنسية اليونانية والنظرة الدونية للمرأة"، مقال بجريدة الوسط البحرينية، العدد: ٣٢٦٧، الخميس ١٨ أغسطس ٢٠١١م. <http://www.alwasatnews.com>
- ٣١- انكسا غوارس: فيلسوف يوناني أستاذ سقراط ولد عام ٤٢٨ ق م، اتهم بالإلحاد وحكم عليه بالموت لادعائه بأن الشمس حجر ساخن والقمر مصنوع من الأرض وليست آلهة.. غير أنه هرب. <https://www.arab-ency.com>, <https://www.arab-ency.com>
- ٣٢- عبد الرحمن اليحيى، المختصر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص ١، ٢.
- ٣٣- صالح بن صالح، "تحديد جنس المولود.. الحقيقة والخزعبلات" مقال جريدة الرياض بتاريخ الأحد ١٩ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ/٠٨ فبراير، ٢٠١٥م، العدد: ١٧٠٣٠، <http://www.alriyadh.com>, <http://www.aljazeera.net>
- ٣٤- زياد طارق نجم الجيوري، "اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب"، بحث منشور بمجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الثالث والعشرون، المجلد السادس، ص ٢٤٢.

ثانياً: تحديد جنس الجنين عند الصينيين

وضع الصينيون برنامجاً كان من أولى المحاولات الساعية للتدخل في جنس المولود، حيث قدمه الصينيون قبل ما يتجاوز ٧٠٠ عام، عندما عكف علماء الفلك القدامى لديهم لإيجاد علاقات فلكية خاصة بين عمر الجنين وعمر الأم وربطها بعوامل خمس، هي: الماء والأرض والخشب والنار والمعدن، وينطلق مبدأ عمله بتحويل عمر المرأة إلى شكله الخاص على الجدول الصيني والذي يحول جدول العمر إلى الخمس عوامل سابقة الذكر وبذلك يمثل عمر الأم عامل معين كما يمثل عمر جنينها عامل آخر وبعد ذلك نبدأ بالبحث عن العلاقة، وكل عامل من هذه العوامل يمثل إما (Yin) أي بنت أو (Yang) أي ولد، وهي عبارة عن فرضيات فلكية لا يمكن التعويل عليها لأنها لا تركز على أساس علمي يعتمد عليه، إلا أن تجربة هذه الطريقة رفعت نسبة الحصول على جنين ذكر إلى ٦٠٪ وهي في الوضع الطبيعي ٥١٪ أي هناك ٩٪ تجعل الطبيب المعالج يقف ملياً عندها ويفكر قليلاً قبل أن يقرر إهمالها، وفيما يلي نرفق نموذجاً لهذا البرنامج^(٣٥).

الجدول الصيني لتحديد جنس الجنين ويشار للذكر فيه بعلامة (B) وللأنثى بعلامة (G) ويقدر عمر السيدة بالسنوات بشكل عدد صحيح و تحذف الأرقام بعد الفاصلة مهما بلغت فمثلاً إذا كان العمر ٣٩.٩ سنة فيبحث عن العمر ٣٩ سنة ويهمل ما تبقى من أرقام كسرية:

Age	Jan	Feb	Mar	Apr	May	Jun	Jul	Aug	Sep	Oct	Nov	Dec
18	G	B	G	B	B	B	B	B	B	B	B	B
19	B	G	B	G	G	B	B	B	B	B	G	G
20	G	B	G	B	B	B	B	B	B	G	B	B
21	B	G	G	G	G	G	G	G	G	G	G	G
22	G	B	B	G	B	G	G	B	G	G	G	G
23	B	B	G	B	B	G	B	G	B	B	B	G
24	B	G	B	B	G	B	B	G	G	G	G	B
25	G	B	B	G	G	B	G	B	B	B	B	B
26	B	G	B	G	B	G	B	G	G	G	G	G
27	G	B	G	B	G	G	B	B	B	B	G	B
28	B	G	B	G	G	G	B	B	B	B	G	G
29	G	B	G	G	B	B	B	B	B	G	G	G
30	B	G	G	G	G	G	G	G	G	G	B	B
31	B	G	B	G	G	G	G	G	G	G	G	B
32	B	G	G	G	G	G	G	G	G	G	G	B
33	G	B	G	B	G	G	G	B	G	G	G	G

٣٥- النحوي سليمان، التلقيح الصناعي في القانون الجزائري والشريعة الإسلامية، ص ٤٤٤، ٤٤٥، نجيب لويس منشور،

34	B	G	B	G	G	G	G	G	G	G	B	B
35	B	B	G	B	G	G	G	B	G	G	G	B
36	G	B	B	G	B	G	G	G	B	B	B	B
37	B	G	B	B	G	B	G	B	G	B	G	B
38	G	B	G	B	B	G	B	G	B	G	B	G
39	B	G	B	B	B	G	G	B	G	B	G	B
40	G	B	G	B	G	B	B	G	B	G	B	G
41	B	G	B	G	B	G	B	B	G	B	G	B
42	G	B	G	B	G	B	G	B	B	G	B	G
43	B	G	B	G	B	G	B	G	B	B	B	B
44	B	B	G	B	B	B	G	B	G	B	G	G
45	G	B	B	G	G	G	B	G	B	G	B	B

ومن المآخذ على هذا الجدول ما يلي:

- ١- أن هذا الجدول لا يرتكز على أساس علمي وإنما مبناه على وجود علاقات فلكية خاصة بين عمر الأم وعمر الجنين وربطها بعوامل خمس هي: الماء والأرض والخشب والنار والمعدن، وهي عبارة عن فرضيات فلكية وضعها علماء الصين ولا يمكن التعويل عليها أو الركون إليها.
- ٢- أن الجدول اقتصر على ما بين سن ١٨ إلى ٤٥ ولم يذكر ما قبل ذلك وما بعده، كما أنه لم يذكر حالات التوائم مطلقاً.
- ٣- أن نسبة ولادة الذكور بالنسبة للإناث من خلال هذا الجدول هي ١٠٠ لكل ١٠٣,٦ أنثى تقريباً، وهذه النسبة تخالف النسبة المعروفة لولادة الذكور.
- ٤- هذا الجدول لم يسجل نسبة نجاح عالية فهي تتراوح ما بين ٦٠٪ إلى ما بين ٦٥٪ مع أن نسبة ولادة الذكور في الوضع الطبيعي ٥١٪ ولو كان ناجحاً كما يدعي البعض لكان الصينيون أنفسهم أحوج الناس إليه فإنهم يريدون الذكر بعد أن حرمت عليهم السلطات إنجاب أكثر من مولود والملاحظ عندهم انتشار الإناث^(٣٦).
- ٥- إن اختيار جنس الجنين بموجب هذا الجدول كذب وباطل، لأنه من ادعاء علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى ويجب إتلافه وعدم تداوله بين الناس^(٣٧) ولأن كل من اعتقد في شيء أنه

٣٦- هيلة بنت عبد الرحمن الياصب، "تحديد جنس الجنين"، بحث منشور ضمن السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ١٤٣١هـ، ص ١٧٣٧، ١٧٣٨.

٣٧- فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء، رقم "٢١٨٢٠" بتاريخ ٢٢/١/١٤٢٢هـ منشورة على موقع الإسلام سؤال وجواب
<https://islamqa.info/ar/121516>

سبب ولم يثبت أنه سبب لا كونا ولا شرعا فشرکه شرك أصغر، لأنه ليس لنا أن نثبت أن هذا سبب إلا إذا كان الله قد جعله سببا كونا أو شرعا، فالشرعي: كالقراءة والدعاء، والكوني: كالأدوية التي جرب نفعها^(٣٨).

ثالثا: تحديد جنس الجنين عند العرب

كان ولا زال العرب يؤثرون إنجاب البنين على البنات، فمعظمهم كانوا يكرهون البنات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكراهية فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْزَوِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

فعادة وأد البنات كانت معروفة لدى بعض القبائل في العصر الجاهلي لشدة غيرتهم على نسائهم وحرصهم على أعراضهم أن تتلم، ولأن حياتهم حياة حربية، ثم لفقهم، وقالوا: دفن البنات من المكرمات^(٤٠). وإذا كان معظم الشعوب القديمة يعتقد أن المرأة هي التي تنجب الذكور والإناث وإليها يرجع السبب في تحديد جنس المولود، فإن العرب توصلوا ومنذ العصر الجاهلي إلى معرفة أن الرجل هو سبب إنجاب الذكور أو الإناث، وما المرأة إلا كالأرض بالنسبة للزراع تنبت ما زرع فيها^(٤١).

ويروى في هذا القبيل أن رجلاً يدعى أبا حمزة الضبي هجر خيمة امرأته، وكان يقيل ويبيت عند جيران له، حين ولدت امرأته بنتا، فمرّ يوماً بخبائها وإذا هي ترقص ابنتها وتقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإننا نأخذ ما أعطينا فنحن كالأرض للزارعينا

نبت ما قد زرعه فينا

فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها^(٤٢).

-
- ٣٨- محمد بن صالح بن محمد العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٤هـ، ج ١، ص ٥٧٧.
- ٣٩- سورة النحل، الآية: ٥٨، ٥٩.
- ٤٠- محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الحجاز عبد الله عبد الجبار، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ١٧٠.
- ٤١- عبد الرحمن اليحبي، المختصر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص ٤.
- ٤٢- عمرو بن بحر بن محبوب الكناي أبو عثمان الشهرير بالجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ١٦٥.

رابعاً: تحديد جنس المولود في الإسلام

نظراً لتأخر العلوم الطبية في التقديم فقد كان العلماء والأطباء يبنون نظرياتهم على الاستقراء والملاحظة والتجربة البسيطة ومن ذلك ما ذكره ابن العربي من أقوال الأطباء: "وإذا كان الثدي مسوداً الحلمة فهو ذكر، وإن كان ذلك في الثدي الأيسر فهو أنثى، وإن كانت المرأة تجذب الجنب الأيمن أثقل فهو ذكر، وإن وجدت الجنب الأشام أثقل فالولد أنثى" (٤٣).

وروي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: إني أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي فقال: ينفعك إن حدثتك، قال أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، فقال صلى الله عليه وسلم: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمع، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، أنا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنيبي، ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به" (٤٤).

فالحديث يدل على أن علو ماء المرأة يسهم في تخلق المولود إلى أنثى إن أذن الله بذلك - وقد وقع خلاف في معنى "العلو" هل هو السبق، أو العلو الحقيقي، أو الكثرة والقوة (٤٥) وأنه حتى في حال علو ماء المرأة فإنه يؤثر في اختيار الحيوان المنوي المذكر أو المؤنث، دون أن يكون له دور رئيسي، فالمؤثر الحقيقي هو ماء الرجل، والمرأة تساهم بدور ثانوي، وذلك بتهيئة الظروف لاستقبال الحيوان المنوي (٤٦).

فقد ثبت أن ماء الرجل قلوي وماء المرأة حمضي، فإذا التقى الماءان وغلب ماء المرأة ماء الرجل كان الوسط حمضياً، فتضعف حركة الحيوانات المنوية المذكرة وتنجح الحيوانات المنوية المؤنثة في تلقيح البويضة،

-
- ٤٣- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص٢٥٩.
- ٤٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، ج١، ص٢٥٢، حديث رقم: ٣١٥، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الطهارة، باب صفة ماء الرجل وماء المرأة اللذين يوجبان الغسل، ج١، ص٢٦١، حديث رقم: ٧٩٨، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صفة ماء الرجل الذي يوجب الغسل، ج١، ص١٥١، حديث رقم: ٢٣٢.
- ٤٥- محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٣، ص٢٢٣، السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ج٢، ص٧٢.
- ٤٦- موقع الإسلام سؤال وجواب <https://islamqa.info>

فيكون المولود أنثى بإذن الله، وإذا غلب ماء الرجل ماء المرأة كان الوسط قلوبا، فتضعف حركة الحيوانات المنوية المؤنثة، وتنجح الحيوانات المنوية المذكورة في تلقيح البويضة فيكون المولود ذكرا بإذن الله^(٤٧).

وهناك من يرى أن المسؤولية عن تحديد جنس الجنين مشتركة بين الرجل والمرأة، وأن اندماج الحيوان المنوي مع البويضة يعتمد على الخصائص الكهربائية لهذه الخلايا الجنسية، فعندما تكون البويضة "سالبة الشحنة" فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي (Y) الذي يحمل شحنة موجبة وينتج "طفل ذكر"، وبما أن الحامل للصبغي "الشحنة الموجبة" هي الأعلى حسب قواعد الطبيعة يكون مني الرجل هو الأعلى، وبذلك يكون علو مني الرجل سبباً في إنجاب طفل ذكر، وهذا يطابق ما أوضحه الحديث النبوي بشكل مذهل (فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله).

وأما إذا كانت البويضة موجبة الشحنة فإنها تجذب إليها الحيوان المنوي الحامل للصبغي (X) الذي يحمل شحنة سالبة وينتج "طفل أنثى" وهذا ما أوضحه أيضاً الحديث النبوي (وإذا علا مني المرأة مني الرجل آثنا بإذن الله) وعلى ذلك يكون هناك دور مشترك للرجل والمرأة في تحديد جنس الطفل^(٤٨).

خامساً: تحديد جنس الجنين في العصر الحاضر

تركزت أبحاث اختيار جنس الجنين في العصر الحاضر على عدة طرق، منها:

- ١- تغيير ظروف وحالة القناة التناسلية عند المرأة (الدش المهبلي والإثارة الجنسية).
- ٢- طريقة الحمية (الحمية من أنواع معينة من الأطعمة) أو النظام الغذائي.
- ٣- فصل الصبغي الجنسي (الكر وموسوم) (X) الأنثوي عن الصبغي (Y) الذكري.
- ٤- تمنيع الأنثى ضد النطفة (Y) الذكورية.
- ٥- تحديد جنس الجنين وهو داخل الرحم ومن ثم الإجهاض ويسمى بطريقة الإجهاض المنتخب^(٤٩).

المطلب الخامس: وسائل اختيار جنس الجنين

هناك عدة وسائل لاختيار جنس الجنين، وبعض هذه الوسائل ظنية النتائج بمعنى أن نجاح الاختيار حسب الطلب ليس حتمياً ولا جازماً ولكنه احتمالي بدرجة كبيرة، وهناك طرق مخبرية علمية تتبع

٤٧- محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، دار كنوز إشبيلية، ط١، ٢٠١١م، ج٣، ص ٩٧٩.

٤٨- جمال حامد السيد حساسين، "المسئولية المشتركة للرجل والمرأة في تحديد نوع الجنين"، ص ١٢ بحث مقدم للمؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالكويت، موقع الإسلام سؤال وجواب:

<https://islamqa.info> <http://quranandembryo.blogspot.com>

٤٩- عبد الرحمن اليحيى، المختصر المفيد في تحديد جنس الوليد، ص ٥.

إجراءات توصل إلى نتائج دقيقة لا مجال للشك في حصول النتيجة فيها إذا تم التلقيح ونجحت العملية بدون أخطاء، ومن خلال استقراء الطرق التي تستخدم ومراحل استخدامها يمكن تقسيم وسائل وطرق اختيار جنس الجنين إلى ثلاث وسائل:

الأولى: وسائل طبيعية مساعدة قبل الحمل.

الثانية: وسائل مخبرية^(٥٠).

الثالثة: وسائل إجرائية بعد الحمل.

أولاً: الوسائل الطبيعية المساعدة قبل الحمل

أبرز الوسائل الطبيعية ما يلي:

١- الدعاء

والمراد به سؤال العبد ربه أن يرزقه بالجنس الذي يرغبه، ويرجو سلامته من الأمراض، وهو أبلغ

الوسائل في إدراك المقاصد^(٥١).

٢- تناول أغذية معينة:

تناول أغذية معينة لمدة ثلاثة أشهر قبل حدوث الحمل، فعند الرغبة بمولود ذكر يتم تناول الأغذية التي تحتوي على تركيز عالٍ من المواد الغنية بأملاح البوتاسيوم والصوديوم مثل السمك واللحم والبطاطس والموز والكمثرى وهي بطريقة ما تجذب الحيوان المنوي الذكري ليكون له السبق في تلقيح البويضة، وعند الرغبة بمولود أنثى يتم تناول الطعام والأغذية التي تحتوي أملاح المغسيوم والكالسيوم مثل منتجات الألبان والأغذية التي تحتوي على فيتامين (د) وهنا نجد البويضة تفتح الباب لاستقبال الحيوان المنوي الأنثوي ليكون قادراً على تخصيب البويضة^(٥٢).

٣- استعمال الغسل المهبل

ويتم فيه تغيير الحالة الكيميائية للمهبل، وذلك بالعمل على زيادة أو تقليل درجة الحموضة في الرحم، بحيث تتكيف مع حياة أحد النوعين بينما تحد أو توقف من نشاط الآخر، والوسط المفضل في قناة

٥٠- عبد الناصر بن موسى أبو البصل، تحديد جنس الجنين، ص ٣٧٥.

٥١- هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ص ١٧٣٠.

٥٢- نجم عبد الواحد، تحديد جنس الجنين، بحث منشور ضمن أعمال وبحوث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي

الإسلامي، المجلد الثاني، ص ٥٠٢، ٥٠٣ "بتصرف"، خالد بن زيد الوديني، اختيار جنس الجنين، ص ١٦٧٢.

المرأة التناسلية حامضي للأنثى، وقلوي للذكر، فإذا كان الوسط قلويًا فهذا يشجع على إنجاب الذكور، وإذا كان الوسط حامضيًا فهو يشجع على إنجاب الإناث^(٥٣) وبالتالي تستعمل المرأة دش مهبطي حامضي أو قلوي لتهيئة الرحم بالوسط الكيميائي المناسب للجنس المرغوب فيه^(٥٤).

٤- توقيت الجماع

هذه الطريقة دقيقة وعلمية وتعتمد على معرفة اختلاف الخصائص الخلقية للحيوانات المنوية الذكرية عن الأنثوية، فقد كشفت الأبحاث أن الحيوان المنوي الذكري خفيف الوزن، سريع الحركة، يعيش زمنًا قصيرًا، أما الحيوان المنوي الأنثوي فهو ثقيل الوزن، بطيء الحركة، يعيش زمنًا أطول من الذكري، وبناء على ذلك يمكن التدخل لتهيئة التوقيت المناسب للجماع الذي يرشح حصول الجنس المأمول، فمثلا إذا حدث الجماع مباشرة بعد حدوث الإباضة فإن الكفة ترجح للذكورة لسرعة الحيوانات المنوية وقدرتها على اقتحام إفرازات المهبل وعنق الرحم، وإذا تم الجماع قبل وقت الإباضة بيومين أو ثلاث فإن الجنين يكون أنثى بإذن الله، لأن معظم الحيوانات المنوية الذكرية تموت قبل انطلاق البويضة^(٥٥) وتبقى الأنثوية، لأنها تعيش فترة أطول، وقد ترتفع نسبة النجاح بالحصول على الجنس المطلوب إذا ضمت الوسائل المتقدمة إلى التوقيت الدقيق للإباضة والوقاع^(٥٦).

٥- استخدام الحقن المناعية والعقاقير الهرمونية

يمكن إعطاء المرأة حقنا مناعية ضد نوع معين من الحيوانات المنوية، وهذه الحقن إذا كانت ضد الحيوان المنوي الأنثوي فإنها تقوم بإضعافه، وبالتالي يتمكن الحيوان المنوي الذكري من الدخول والتلقيح ليكون الجنين ذكرا، وإذا كانت ضد الحيوان المنوي الذكري فإنها ستقوم بإضعافه فيلقح الحيوان المنوي الأنثوي ليكون الجنين أنثى، وهذه الطريقة لازالت قيد الدراسة والتجربة، وقد سجلت ملاحظات حول

٥٣- سمية صالح، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، بحث منشور بـ: مجلة كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد الخامس عشر، ٢٠١٦م، ص ٤٥٣.

٥٤- خالد بن عبدالله المصلح، رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، ص ٢٣ منشور على موقعه <http://www.almosleh.com>

٥٥- يستطيع الحيوان المنوي العيش لمدة تتراوح من ٤٨ ساعة إلى ٧٢ ساعة داخل رحم الزوجة، بحيث يكون قادرًا على

الإخصاب، وكذلك البويضة تظل ٢٤ ساعة حية، وتكون قابلة للإخصاب. <http://consult.islamweb.net/c>

٥٦- النحوي سليمان، التلقيح الصناعي في القانون الجزائري والشريعة الإسلامية، ص ٤٤٤، خالد بن عبدالله المصلح،

رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين، ص ٢٤، الإنسان والوراثة، ص ١٤٠.

ارتفاع نسبة احتمال إنجاب أنثى لمن تستخدم منشط المبيض (CLOMIPHENE) وأن استخدام هرمون الذكورة (TESTERONE) يؤدي إلى احتمال إنجاب ذكر^(٥٧).

٥- تكرار الجماع

لوحظ أن تكرار الجماع بعد الحيض ثم التوقف قبل موعد الإباضة بيومين أو ثلاثة يعطي فرصة لإنجاب أنثى وأن الامتناع عن الجماع بعد الحيض إلى أن تتم الإباضة يعطي الفرصة لإنجاب ذكر^(٥٨).

ثانيًا: الوسائل المخبرية

وتتم هذه الطريقة بالبحث عن الحيوان المنوي الحامل للصبغي المطلوب (ذكري أو أنثوي) ثم تلقيح البويضة به لنحصل على خلية تناسلية كاملة ملقحة بالجنس المرغوب فيه. وقد يتم هذا الأمر بأن تلقيح البويضة بالحيوان المنوي المطلوب أثناء عملية أطفال الأنابيب، كما يتم عن طريق حقن المرأة بالحيوان المنوي المطلوب بالتلقيح داخل الرحم. وفي كلتا الحالتين لا بد من إجراء عملية اختيار للحيوان المنوي واكتشاف أنه يحمل الجنس المذكور أو الجنس المؤنث^(٥٩).

وتتم عملية الكشف بعدة طرق أهمها ما يلي:

١- غربلة الحيوانات المنوية وفصلها (فصل السائل المنوي الذي يحمل كروموسومات الذكورة والأنوثة) وعمل الحقن الاصطناعي (TUI) التي تتم بعد تجهيز جسم المرأة بإعطاء الأدوية المنشطة للمبايض لزيادة عدد البويضات ورفع فرصة الحمل ثم القيام بحقن الرحم بالحيوانات المنوية الحاملة للجنس المرغوب به بعد فصلها في المختبر بطريقة الغربلة باستخدام أدوات خاصة، اعتمادًا على أن السائل المنوي في الحالة الطبيعية يحتوي بصورة تقريبية على ٥٠ في المائة حيوانات منوية أنثوية و٥٠ بالمائة حيوانات منوية ذكورية باستثناء بعض الحالات الشاذة، غير أن هذه الطريقة لا تقوم بعمل فصل تام وناجح مائة في المائة، أي: أن احتمالية تواجد الحيوانات المنوية للجنس غير المرغوب به واردة وتكون فرص نجاحها محدودة.

٥٧- هيلة بنت عبدالرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٣٥، ١٧٣٦.

٥٨- علي محيي الدين القره داغي وعلي يوسف المحمدي، فقه القضايا الطبية المعاصرة، ص ٥٥٧، هيلة بنت اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٣٤.

٥٩- عبد الناصر بن موسى أبوالبصل، تحديد جنس الجنين، ص ٣٧٩، سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، دار كنوز إشبيليا، ط ١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٠٧.

- ٢- الفصل الوراثي، أي: فصل الحيوانات المنوية بالاعتماد على محتويات المادة الوراثية (DNA) وهي أكثر دقة من سابقتها وتعطي نتائج نجاح عالية تصل إلى ٩٠ في المائة إذا حصل الحمل.
- ٣- الطريقة الأكثر انتشارًا والأكثر ضمانًا، إذا حصل الحمل حيث تصل نسب نجاحها إلى ٩٩٪ هي طريقة مرتبطة بأطفال الأنابيب وفيها يتم دراسة نوع الأجنة بعد تشكيلها وانقسامها قبل إرجاعها إلى رحم السيدة بطريقة التشخيص الوراثي قبل زرع الجنين في الرحم (DGP).
- وتتمثل في أخذ عينة من الأجنة لاختبار جنس المولود، حيث يقوم فني المختبر بعمل ثقب جدار الجنين المتشكل بعد ثلاثة أيام من إجراء التلقيح وعند وصول الجنين لمرحلة ٨ خلايا، يتم سحب خلية واحدة من غير أن يؤدي ذلك إلى ضرر أو أذى في الجنين، وتدرس الخلية بطريقة صبغ الكروموسومات (HSF) لتحديد جنس الجنين ولا يتم إرجاع الأجنة إلا المرغوب بجنسها كما يتم بهذه الطريقة أيضًا دراسة الصفات الوراثية لاستبعاد الكثير من الأمراض والتشوهات^(٦٠).

ثالثًا: وسائل إجرائية بعد الحمل

يمكن معرفة جنس الجنين بواسطة الموجات فوق الصوتية وذلك منذ الشهر الخامس بصورة شبه مؤكدة، وأيضًا بأخذ عينة من الخلايا التناسلية الملقحة المتكونة في الرحم وهي في مراحلها الأولى وبعد فحصها وتبين جنس الجنين فيها يتم التصرف مع هذا الجنين وجودا وعدمًا حسب الجنس المرغوب فيه فإذا ظهر أنه أنثى وهم يريدون ذكرا تتم عملية إجهاضه مبكرًا أو غير مبكر وكذلك العكس، المهم أنه سيتم الإبقاء على الجنين أو إجهاضه حسب جنس ذلك الجنين^(٦١).

وقد انتشرت عيادات معرفة جنس الجنين وبالتالي إجهاضه في الهند والصين وأدى ذلك إلى قتل مئات الآلاف من الأجنة الأنثوية سنويًا، ففي مدينة مومباي بالهند أكثر من خمسمائة عيادة لمعرفة جنس الجنين وإجهاضه حسب طلب الوالدين، ويرجع السبب إلى أنه يجب على الفتاة في الهند أن تقدم المهر للرجل، على عكس ما هو مفترض، وتصبح البنت عبئًا ثقيلًا على أسرتها وخاصة إذا كان لديها عدد من الفتيات فلا يوجد لدى هذا الأب المنكوب سوى أن يتخلص من هذه الصغيرة التي لا تزال مكونة في الأرحام... وللأسف فإن هذه الحالات من قتل الأجنة في ازدياد.

٦٠- النحوي سليمان، التلقيح الصناعي في القانون الجزائري والشريعة الإسلامية، ص ٤٤٦ وما بعدها. محمد محمد

الحناوي، "كيف تختار جنس مولودك قبل الحمل؟" مقال منشور على موقع <http://www.arabmedmag.com>

٦١- عبد الناصر بن موسى أبوالبصل، تحديد جنس الجنين، ص ٣٨٣.

وأما في الصين فقد كان منتشرًا فيها قتل المواليد من الإناث وخاصة منذ عام ١٩٨٥م عندما سنت الحكومة الصينية تشريعًا يمنع أي أسرة من أن يكون لديها أكثر من طفل واحد فقط، وبما أن غالبية الصينيين بل غالبية البشر يفضلون الذكر على الأنثى فإنهم يقومون في الصين بقتل المولود الأنثى خفية لتتاح لهم فرصة الحصول على مولود ذكر، وقد أصبح هذا أمرًا شائعًا لدرجة أن التوازن السكاني بين الذكور والإناث قد اختل وقد حل الإجهاض المتأخر محل وأد البنات^(٦٢).

وهذه الطريقة محظورة ومحرمة لحرمة الوسيلة مهما كان عمر الجنين في الرحم ومهما كانت الذرائع لاختيار الجنس، ويشتد التحريم إذا نفخت الروح في الجنين بإجماع الفقهاء لعموم النهي من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والجنين بعد نفخ الروح فيه نفس فيحرم قتله بغير حق^(٦٣).

تغيير نوع الجنين في أطواره الأولى

ظهرت مؤخرًا بعض النظريات التي تزعم إمكانية ذلك عن طريق الحق بالهرمونات أو عن طريق التحكم في جين أو عامل وراثي أطلق عليه SRY يعمل على إحداث تفاعلات حيوية تؤدي إلى تحويل المبيض في الأجنة الإناث خلال الثمانية أسابيع الأولى - إلى خصيات ذكرية.

وقد تمت تجربة هذه التقنية على الفئران وثبت نجاحها من حيث تحقق المظهر الخارجي، إلا أنه لوحظ أن هذه التقنية لها مخاطر أهنونها عدم تطابق التركيب الصبغي للكائنات المنسلة بهذه الطريقة مع مظهرها الخارجي وأن الذكر فيها - مثلًا - هو من حيث الشكل الخارجي فقط ولكنه عقيم لا يمكنه الإنجاب كما أنه يظهر ميل طبيعي تجاه الإناث، وهو ما يوحي بعدم اتساق تركيبه أو تكوينه الداخلي مع المظهر الخارجي هذا فضلًا عن مخاطر التشوه وغيرها من المخاطر المحتملة. وتأسيسًا على هذه المعطيات فإن حكم هذه الطريقة كوسيلة لاختيار النوع الحرمة دفعًا للضرر^(٦٤).

٦٢- محمد علي البار، اختيار جنس الجنين، بحث منشور ضمن أعمال وبعوث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي، المجلد الثالث، ص ٤٨١، ٤٨٢.

٦٣- البحر الرائق، ج ٨، ص ٢٣٣، حاشية ابن عابدين، ج ٢، ص ٢٣٨، الدردير، الشرح الكبير، ج ٢، ص ٢٦٧، نهاية الزين، ص ٣٣٠، المحلى، ج ١١، ص ٣٣، شرائع الإسلام، ج ٤، ص ٢٦٣، شرح كتاب النيل، ج ١٥، ص ٨٠، محمد نعيم ياسين، الإجهاض بين القواعد الشرعية والمعطيات الطبية، ص ٢٨، عبد الناصر بن موسى أبو البصل، تحديد جنس الجنين، ص ٣٨٣.

٦٤- محمود عبد الرحيم مهران، الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر، ط ١، ٢٠٠٢م، ص ٣٧٤.

المطلب السادس: دوافع اختيار جنس الجنين

- ١- رغبة الوالدين في اختيار نوع معين الذكور أو الإناث لاعتبارات اجتماعية ونفسية خاصة.
- ٢- الحصول على النوع الآخر - ذكورا مثلا - إذا كان كل الذين أنجبهم الأم من نوع الإناث فقط والعكس صحيح فتتوق الرغبة إلى نوع جديد.
- ٣- ما كان تفاديا لبعض الأمراض الوراثية أو التشوهات الخلقية التي تلازم نوعا من الأولاد بذاته، فيلجأ إلى النوع الآخر حذرا من الإصابة^(٦٥) حيث يوجد أكثر من خمسمائة مرض وراثي مرتبط بالجنس وتشير الإحصائيات في بلاد العرب أنها تحدث في مولود من بين كل ألف ولادة بسبب الكثير منها عجزا شديدا وقد يكون المرض مميتا ومن أشهر هذه الأمراض مرض الناعور^(٦٦) ومرض الضمور العضلي الوراثي^(٦٧) وتحدث الإصابة في معظم الأمراض المرتبطة بالجنس عند الذكور ولا تحدث عند الإناث ولذلك فإن إمكانية اختيار جنين من جنس معين (أنثى في معظم الحالات) سيؤدي لولادة طفل غير مصاب بالمرض^(٦٨).
- ٤- وقد يكون الدافع لاختيار جنس الجنين سياسيا فقد تكون هناك رغبة في الإكثار من جنس الذكور لدواعي أمنية أو اقتصادية مثلا^(٦٩).

٦٥- أيوب سعيد زين العطيف، تحديد جنس الجنين، ص ١٧٠١.

٦٦- الناعور، أو النزاف، أو نزف الدم الوراثي، أو الهيموفيليا، كلها أسماء لمرض وراثي يعني عدم تخثر الدم عند حدوث أي جرح، وقد اكتشف له علاج سنة ١٨٤٠م وذلك عن طريق إعطاء المصاب عنصر التخثر الناقص عن طريق حقن العنصر في الدم، وبذلك تتم عملية التخثر ويقف النزيف وقبل هذا التاريخ كانت حياة المريض مليئة بالمتاعب بسبب عدم توقف النزيف الذي يحدث له. مقال محسن الصالح عن مرض الناعور منشور بجريدة الرياض، الخميس ٣ جمادى الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٨ مايو ٢٠٠٨م، العدد: ١٤٥٦٣، 8564، www.enabbaladi.net/archives/8564.

٦٧- مرض ضمور العضلات مرض وراثي يصيب الذكور بشكل سائد، لارتباطه بالكروموسوم الذكري X، والناتج عن خلل في الجينات والذي يؤدي تدريجيا لإضعاف عضلات الجسم. ويحدث نتيجة لوجود معلومة جينية خاطئة أو مفقودة تمنع الجسم من صنع البروتينات (بروتين Dystrophin) اللازمة لبناء عضلات سليمة والمحافظة عليها، حيث يفقد الطفل المصاب قدرته تدريجيا لممارسة أعماله الاعتيادية كالمشي والجلوس مستقيما والتنفس بسهولة وتحريك الذراعين واليدين مما يقوده الى مزيد من تدهور وضعه الصحي. <http://www.alghad.com/articles>.

٦٨- محمد بن يحيى بن حسن النجمي، تحديد جنس الجنين، بحث منشور ضمن أعمال وبحوث الدورة الثامنة عشرة للمجمع الفقهي الإسلامي، المجلد الثالث، ص ٤٠٧.

٦٩- هيلة بنت عبد الرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٢٧.

المبحث الثاني: حكم اختيار جنس الجنين من الناحية العقائدية

أثار اختيار جنس الجنين جدلاً دينياً كبيراً ليس من ناحية الحكم الشرعي فقط، بل أيضاً من الناحية العقائدية وذلك فيما يتعلق باختصاص الله عز وجل بعلم الغيب ونفاد مشيئته سبحانه وقد اختلف العلماء في هذا على رأيين:

الرأي الأول: أن ادعاء معرفة جنس الجنين تطاول على مشيئة الله وإرادته، وبهذا قال عبد العظيم المطعني ومحمد الراوي^(٧٠) وعلماء اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية^(٧١).

الرأي الثاني: أن ادعاء معرفة جنس الجنين ليس تطاولاً على مشيئة الله وإرادته ولا من ادعاء علم ما في الأرحام، وبهذا قال يوسف القرضاوي^(٧٢) ومحمد رأفت عثمان ونصر فريد واصل^(٧٣) ونجم عبد الواحد^(٧٤) وغيرهم.

أدلة أصحاب الرأي الأول

استدل أصحاب هذا الرأي على أن ادعاء معرفة جنس الجنين تطاول على المشيئة الإلهية بالكتاب والسنة والمعقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾

أولاً: الكتاب والسنة

- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٧٥).
- ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مفاتيح الغيب خمس: لا يعلم ما تضع الأرحام أحد إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة"^(٧٦).

٧٠- "معركة فقهية بين علماء الأزهر بسبب فتاوى التحكم في نوع الجنين"، مقال منشور بجريدة الوطن، العدد: ١٦٤٨، بتاريخ ٤ إبريل، ٢٠٠٥م.

٧١- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ٩٤.

٧٢- يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، دار القلم، الكويت، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٥٧٦.

٧٣- "معركة فقهية بين علماء الأزهر بسبب فتاوى التحكم في نوع الجنين"، مقال منشور بجريدة الوطن، العدد رقم: ١٦٤٨ بتاريخ ٤ إبريل ٢٠٠٥م.

٧٤- نجم عبد الواحد، تحديد جنس الجنين، بحث منشور ضمن أعمال وبحوث الدورة الثامنة عشر للمجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، المجلد الثالث، ص ٥١٦.

٧٥- سورة لقمان، الآية: ٣٤.

٧٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾، ج ٦، ص ١١٦، حديث رقم: ٧٣٧٩، وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، باب الزجر عن كتابة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، ج ١، ص ٢٧٢، حديث رقم: ٧٠، والطبراني في المعجم الأوسط، ج ٢، ص ٢٥٨، حديث رقم: ١٩١٧ وأحمد في مسنده، ج ٤، ص ٣٩٠، حديث رقم: ٤٧٦٦.

وجه الدلالة: دلت هذه النصوص على أن علم ما في الأرحام من الغيب الذي لا يمكن لأحد أن يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وادعاء البشر ذلك مصادم لهذه الأخبار^(٧٧).

ونوقش هذا: بأن علم الله لما في الأرحام أوسع مدى من هذا المعنى الذي ذهبوا إليه، فمعرفة نوع الجنين واحد من ملايين المعلومات عن هذا الجنين فالله تعالى وحده يعلم ما سيكون عليه هذا الجنين من حياة أو موت قبل الولادة أو بعدها ومن سعادة أو شقاء أو غباء أو ذكاء أو فقر أو غنى أو استقامة أو انحراف، وهل سيكون شخصا مشهورا أو مغمورا أو متواضعا أم مغرورا... إلى غير ذلك من الصفات التي يكون عليها الجنين بعد أن يخرج للوجود إنسانا سويا^(٧٨) فالمراد بعلم الله هو العلم التفصيلي بما في الأرحام، وهذا لا يحيط به بشر مهما أوتي من العلم وذلك لأن كلمة ما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ تفيد العموم وهذا لا يختص بكونه ذكرا أو أنثى^(٧٩).

ثانياً: المعقول

قالوا: بأن اختيار جنس الجنين فيه تناول على مشيئة المولى سبحانه الذي وزع النسل بحكمة ومقدار^(٨٠) فيهب لمن يشاء إناثا ويهب سبحانه لمن يشاء الذكور.

ونوقش هذا بأن الأمر لا يتعدى الأخذ بالأسباب دون أن ينطوي على تحد لإرادة الله عز وجل فعلم الله ليس حاصلًا بوسيلة أو مسبوقًا بجهل كعلم الأطباء، لأن هذا المولود وقت التدخل الطبي لا يعلم جنسه هل هو ذكر أم أنثى، فكيف يقال إنه يتعارض مع الإرادة الإلهية^(٨١) كما أن اختيار نوع الجنين بتدخل من الإنسان لا يعد مخالفاً لمشيئة الله، لأنه يهب لمن يشاء ذكورا وبواسطة كذا ويهب لمن يشاء إناثا بواسطة كذا أو يزوجهم ذكرا أو بواسطة كذا^(٨٢).

-
- ٧٧- منال محمد رمضان هاشم العشي، أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية، رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات درجة الحصول على الماجستير، كلية الشريعة والقانون، غزة، فلسطين، ٢٠٠٨م، ص ١٤٠.
- ٧٨- محمد السقا عيد، قضايا طبية معاصرة في ضوء الفقه الإسلامي، ص ١٧، ١٨ منشور على موقع www.alukah.net
- ٧٩- محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠١٨.
- ٨٠- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ٩٤.
- ٨١- محمد أحمد طه، الإنجاب بين التجريم والمشروعية، منشأة المعارف الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٢٣٧، ٢٣٨، محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠١٧.
- ٨٢- شكري صالح إبراهيم الصعدي، "التحكيم في نوع الجنين"، بحث منشور في: مجلة كلية الشريعة والقانون، العدد: الثالث والعشرون، الجزء الثاني، ص ٣٧٦.

أدلة أصحاب الرأي الثاني

استدل أصحاب هذا الرأي على أن ادعاء معرفة جنس الجنين ليس تطاولا على مشيئة الله وإرادته بالسنة والمعقول.

أولا: السنة

ما روي عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إن لي جارية، هي خادمتنا وسانيتنا"^(٨٣) وأنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل، فقال: اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قدر لها، فلبث الرجل، ثم أتاه، فقال: إن الجارية قد حبلت، فقال: قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها"^(٨٤).

وجه الدلالة

أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز العزل وبين أنه لا ينافي قدرة الله وإرادته مع أن فيه منعا للذكورة والأنوثة^(٨٥).

ثانيا: المعقول

قالوا: إن ادعاء معرفة جنس الجنين ليس تطاولا على مشيئة الله وإرادته، لأنه لا إرادة للإنسان في أن يكون الجنين ذكرا أو أنثى، وإنما هو منفذ لإرادة الله عز وجل فقط، وأن ما يفعله الإنسان في ذلك هو التوصل إلى العلاقة بين الأسباب ومسبباتها دون أن يستطيع الجزم بحتمية هذه العلاقة إذ قد يجري الله الأسباب على غير العادة فلا تنتج عنها مسبباتها، ولا يعتبر من التطاول على مشيئة الله أن يجمع الإنسان بين الأسباب ومسبباتها فهذا داخل ضمن الممكنات التي أقدر الله تعالى الإنسان عليها، ولولا هذا لما صح أن يكون الإنسان مستخلفا على عمارة هذا الكون ومهما عمل الإنسان تبقى إرادة الله هي المسيطرة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٨٦) (٨٧).

٨٣- سانيتنا: يعني تسقي لنا الماء، والسانية البعير الذي يسنى عليه أي يستقى. ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر، دمشق، ط ١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م، ج ٢٥، ص ٦٣، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابي، معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المطبعة العلمية، حلب، ط ١، ١٣٥١هـ/١٩٣٢ م، ج ٢، ص ٤١.

٨٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ج ٢، ص ١٠٦٤، حديث رقم: ١٤٣٩، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب ما جاء في العزل، ج ٢، ص ٢٥٢، حديث رقم: ٢١٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب النكاح، باب العزل، ج ٧، ص ٣٧٣، حديث رقم: ١٤٣٠٥، وأحمد في مسنده، ج ٢٢، ص ٢٤٩، حديث رقم: ١٤٣٤٦.

٨٥- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ٩٥.

٨٦- سورة التكوير، الآية: ٢٩.

٨٧- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ٩٦.

الرأي المختار

بعد ذكر الأدلة والمناقشات السابقة أميل إلى ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني القائل: بأن ادعاء معرفة جنس الجنين ليس تطاولا على مشيئة الله وإرادته لقوة ما استدلوا به، ولأن عمل الإنسان في اختيار الجنس لا يخرج عن المشيئة الإلهية بل هو تنفيذ لها فالإنسان يفعل بقدرته الله ويشاء بمشيئة الله^(٨٨).
فالله وحده هو الذي يعلم ما في الأرحام علما محيطا شاملا من ذكورة وأنوثة من طول وقصر من طبائع موروثه وأخرى مكتسبة فيما يستقبل من الأيام وهل سينزل سقط أم تمام... فمعرفة نوع الجنين هل هو ذكر أم أنثى معرفة مبطورة ناقصة ومع ذلك يمكن أن تخطئ، فيمكن أن تكون الأعضاء الظاهرة لأنثى وتكون الغدة التناسلية لذكر... إذا علم الإنسان ما في الأرحام ظني لا يقيني ناقص غير كامل، وعلم الله سبحانه كامل محيط لا يتسرب إليه الشك أو الخطأ^(٨٩).

المبحث الثالث: حكم اختيار جنس الجنين من الناحية الشرعية

المطلب الأول: حكم اختيار جنس الجنين بالوسائل الطبيعية

يجوز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعية، كالنظام الغذائي، والغسل الكيميائي، وتوقيت الجماع بتحري وقت الإباضة، لكونها أسبابا مباحة لا محذور فيها، وقد دل على هذا الكتاب والسنة والقواعد الفقهية والمعقول:

أولا: الكتاب

قول الله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ﴾ ^(٩٠) ^(٩٠) بَرِّئُ مِنْ ذَنْبِي وَبِرِّئُ مِنْ أَلِّ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا

وجه الدلالة

أن نبي الله زكريا عليه السلام دعا ربه أن يرزقه الذكر، ومن شروط الدعاء ألا يسأل محرما، فدل ذلك على أن الدعاء بطلب جنس معين جائز^(٩١).

٨٨- يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، ج ١، ص ٥٧٧.

٨٩- محمد علي البار، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

٩٠- سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

٩١- سمية صالح، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، ص ٤٥٤، فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ١٠٨، خالد بن زيد الوديناني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٧٨.

ثانياً: السنة

ما روي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: إني أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي فقال: ينفعك إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، فقال صلى الله عليه وسلم: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعاً، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، أننا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به" (٩٢).

وجه الدلالة

دل هذا الحديث على جواز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعية، حيث أعطى النبي صلى الله عليه وسلم للسائل أمارات واضحة عن الكيفية التي يمكن بها اختيار جنس الجنين فيبين صفات الحيوانات المنوية المستولة عن تحديد جنس الجنين ونوعه ولا يختلف ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث عن الطرق الطبيعية إلا في كيفية الوسيلة التي يمكن التوصل بها إلى النوع المطلوب، فإذا استطاع الرجل بأي وسيلة مشروعة من هذه الوسائل سألفة الذكر أن يجعل أحد نوعي منيه السابق ليحصل له الولد الذي يريد فإن أحداً لا يستطيع القول بحرمة ذلك، لأن النصوص النبوية التي أخبرت بهذه الأمارات لم يقترن بها ما يدل على منعها أو حظرها فبقي على أصل الحل حتى يرد ما يدل على المنع (٩٣).

ثالثاً: القواعد الفقهية

قاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة" (٩٤) تدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة، واختيار جنس الجنين لا يفضي إلى الحرام ولم يأت نص بتحريمه حتى يتغير حكم الأصل من الحلال إلى الحرام (٩٥).

٩٢- سبق تحريجه في الهامش: ٤٤ من هذا البحث.

٩٣- عباس أحمد محمد الباز، بحوث فقهية في قضايا معاصرة، ص ٨٧٥.

٩٤- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٦٠، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٥٦.

٩٥- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ١٠٩.

رابعاً: المعقول

أن الطرق الطبيعية لاختيار جنس الجنين طرق مباحة لا محذور فيها فالأكل والجماع من الأمور المباحة التي يعود التخيير في نوعيتها ووقتها للإنسان نفسه بحسب ما يراه من المصلحة والحاجة^(٩٦) كما أن اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعية من باب الأخذ بالأسباب والأخذ بالأسباب أمر مشروع، بل نحن مطالبون به^(٩٧).

المطلب الثاني: حكم اختيار جنس الجنين بالوسائل المخبرية

اتفق العلماء المعاصرون على أنه لا يجوز اختيار جنس الجنين على نطاق الدول والمجتمعات، لأنه يؤدي إلى الإخلال بالنواميس الكونية^(٩٨) ولأن فيه تفضيل جنس على جنس، فهو مضاهاة لفعل أهل الجاهلية، وصورة مطورة للوآد الجاهلي المحرم شرعاً^(٩٩).

واختلفوا في حكم اختياره على مستوى الأفراد بالوسائل المخبرية على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجوز التدخل لاختيار جنس الجنين، وبهذا قال نصر فريد واصل ويوسف القرضاوي وحسان تحتوت وغيرهم^(١٠٠) ومحمد عثمان شبير^(١٠١) والشيخ محمد آصف المحسني^(١٠٢).

القول الثاني: لا يجوز التدخل لاختيار جنس الجنين ولا طلب ذلك، وبهذا قال: ماهر تحتوت والشيخ عبدالرحمن عبد الخالق^(١٠٣).

القول الثالث: التوقف في أمر اختيار جنس الجنين، وبهذا قال: توفيق الواعي وعمر سليمان الأشقر^(١٠٤).

-
- ٩٦- هيلة بنت عبدالرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٤٦، ١٧٤٧.
- ٩٧- منال محمد رمضان هاشم العشي، أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية، ص ١٤٠.
- ٩٨- جهاد حمد حمد، الأحكام الشرعية في ضوء المستجدات الطبية والبيولوجية العصرية، دار المعرفة، ص ٤١٨، محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ٩٩٨.
- ٩٩- هيلة بنت عبدالرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٥١.
- ١٠٠- جهاد حمد حمد، الأحكام الشرعية في ضوء المستجدات الطبية والبيولوجية العصرية، ص ٤١٧.
- ١٠١- محمد عثمان شبير، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٤٠.
- ١٠٢- محمد آصف المحسني، الفقه ومسائل طبية، مؤسسة بوستان كتاب، قم، ط ١، الجزء الأول، ص ١٠٧.
- ١٠٣- جهاد حمد حمد، الأحكام الشرعية في ضوء المستجدات الطبية والبيولوجية العصرية، ص ٤١٧.
- ١٠٤- فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ١٠٢، جهاد حمد حمد، الأحكام الشرعية في ضوء المستجدات الطبية والبيولوجية العصرية، ص ٤١٧، أيوب سعيد زين العطيف، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٠٣.

سبب الخلاف

يرجع سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة إلى اختلافهم في تأويل قول الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(١٠٥) وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ﴾^(١٠٦) فقد دلت الآيتان على أن علم ما في الأرحام من الغيب الذي لا يمكن لأحد أن يعلمه غير الله تعالى، فمن أول العلم المراد بها في الأرحام بالعلم التفصيلي لكل ما يتعلق بها قال بجواز اختيار جنس الجنين، ومن اعتبر أن الآية تخبر عن غيبات يصعب بناء حكم عليها قال بحرمة اختيار جنس الجنين^(١٠٧)، ومن لم يظهر عنده الأمر توقف.

أدلة أصحاب القول الأول

استدل أصحاب هذا القول على أنه يجوز التدخل لاختيار جنس الجنين بالكتاب والسنة والقواعد الفقهية والمعقول:

أولاً: الكتاب

قول الله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾^(١٠٨).

وجه الدلالة

دلت الآية على أنه يجوز الدعاء بطلب جنس معين فقد دعا زكريا عليه السلام بطلب الذرية من الذكور، ولو لم يكن مشروعاً لما جاز له الدعاء به، ومن المقرر أن ما جاز طلبه جاز فعله^(١٠٩) وبالتالي يجوز اختيار جنس الجنين إذا كان بطريق مشروع.

ونوقش هذا: بأن نبي الله زكريا عليه السلام لم يطلب الذكر رغبة فيه لعينه وإثارة للذكورة وبغضا للأنثى وانتقاصاً لها كما يفعله كثير من الناس على مر الزمان وإنما قصد الذكر تبعاً لأصالة بمعنى أن دعاءه بطلب الذكر لا لأجل الذكورة من أجل استبقاء الميراث أو حمل الاسم أو غيرهما وإنما لمعنى آخر أجّل

١٠٥ - سورة لقمان، الآية: ٣٤.

١٠٦ - سورة الرعد، الآية: ٨.

١٠٧ - منال محمد رمضان هاشم العشي، أثر الأمراض الوراثية على الحياة الزوجية، ص ١٤٣.

١٠٨ - سورة مريم، الآيتان: ٥، ٦.

١٠٩ - محمد عثمان شبير، دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، ج ١، ص ٣٣٩، سمية صالح، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، ص ٤٥٤، خالد بن زيد الوديناني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٧٨.

وأسمى، فزكريا عليه السلام أراد ذكرا ليرث العلم والنبوة ويسوس بني إسرائيل بما يوحي إليه^(١١٠) كما أنه سأل الله تعالى أن يرزقه ذكرا بالطريق الطبيعي للإنجاب وهو الجماع وهو مشروع، بخلاف الطرق المخبرية حيث تتضمن محاذير شرعية ككشف العورة^(١١١).

وأجيب على هذا: بأن هذه المحاذير يمكن أن تستباح إذا كان الدافع علاجيا على أن يلتزم بقدر الحاجة، وتتخذ كافة الاحتياطات^(١١٢).

قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(١١٣).

وجه الدلالة

أن حرمان بعض الأسر من جنس معين حرج وضيق والحرج مرفوع شرعا^(١١٤).

ثانيا: السنة

١- ما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه"^(١١٥).

وجه الدلالة: أن ما سكت الشرع عن بيان حرمة يعد عفوا، ومنه طلب نوع الولد بهذه الطريقة^(١١٦). ونوقش هذا: بأن هناك مفاصد في اختيار جنس الجنين بتلك الطرق ككشف العورة فالدليل قائم على تحريمها^(١١٧).

ما روي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ففجاء حبر من أحبار اليهود فقال: إني أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي،

١١٠- مصلح عبد الحلي النجار وإياد أحمد إبراهيم، مستجدات طبية معاصرة من منظور إسلامي، ص ٩٨.

١١١- سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢١٧، ٢١٨.

١١٢- هيلة اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٦٦.

١١٣- سورة الحج، الآية: ٧٨.

١١٤- عبد الرشيد قاسم، اختيار جنس الجنين: دراسة فقهية طبية، دار البيان الحديثة، الطائف، ط ١، ١٤٢٤هـ، ص ٨٠، ٨١.

١١٥- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الذبائح، باب ما جاء في لبس الفراء، ج ٤، ص ٢٢٠، حديث رقم: ١٧٢٦، وابن

ماجة في سننه، كتاب الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن، ج ٤، ص ٤٥٩، حديث رقم: ٣٣٦٧، والحاكم في

المستدرک: وقال صحيح. كتاب الأطعمة، ج ٤، ص ١٢٩، حديث رقم: ٧١١٥.

١١٦- سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢٢٢.

١١٧- محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠٠٢.

فقال: ينفعك إن حدثتك، قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، فقال صلى الله عليه وسلم: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعوا، فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آثنا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبى، ثم انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، وما لي علم بشيء منه، حتى أتاني الله به" (١١٨).

وجه الدلالة: الحديث يدل على جواز اختيار جنس الجنين من قبل الأبوين، فقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم أمارات ظاهرة عن الطريقة التي يمكن من خلالها إنجاب المولود المرغوب فيه من حيث كونه ذكرا أو أنثى، وهذا لا يختلف عما يسعى إليه علم الوراثة المعاصر إلا في وسيلة الوصول إلى المطلوب (١١٩).

ونوقش هذا: بأن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم يحدث في الجماع بإرادة الله دون التدخل من أحد فلا يكون فيه استخراج للنطف من الزوجين واختيار لنوع من الحيوانات المنوية دون الآخر (١٢٠).
وأجيب على هذا: بأن إشارة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقائق دون نهي عنها يفهم منه إباحة السعي لتحقيقها، ولو كان ذلك بغير الطرق الطبيعية المعهودة إذا دعت الحاجة لذلك (١٢١).

ثالثا: القواعد الفقهية

قاعدة: الأصل في الأشياء الإباحة (١٢٢). فالقاعدة تدل على أن الأصل في الأشياء الإباحة إذا لم يوجد دليل يدل على التحريم، ولا دليل على تحريم اختيار جنس الجنين، وما سكت عنه الشرع معفو عنه، فبقي على أصل الإباحة، وهذه العمليات من المستجدات الطبية التي فيها مصلحة للفرد، وهي ثمرة للتقدم العلمي، ولا مانع من الأخذ بها لما فيها من منافع لا تحصى (١٢٣).

١١٨ - سبق تحريجه في الهامش: ٤٤ من هذا البحث.

١١٩ - خالد بن زيد الوديني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٧٩.

١٢٠ - سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢٢١.

١٢١ - هيلة اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٧٠.

١٢٢ - جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٦٠، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م، ص ٥٦.

١٢٣ - عوادي زبير، الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية والعلاج الجيني: دراسة فقهية، ص ٣٠٤، سمية صالحى، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، ص ٤٥٤، خالد بن زيد الوديني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٨٠.

ونوقش هذا: بأن قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة ليست من القواعد المتفق عليها، بل اختلف فيها على ثلاثة أقوال: الإباحة والحظر والتوقف^(١٢٤) يضاف إلى ذلك أن الاستدلال بالقاعدة استقلالا محل خلاف عند الفقهاء^(١٢٥).

رابعاً: المعقول من وجوه

الأول: أن الشريعة الإسلامية ترحب بكل جديد مادام يحقق سعادة الإنسانية ولا يحقق لها الشقاء، واختيار جنس الجنين يحقق السعادة لبعض الأسر في تحقيق أمنيته في إنجاب ذكر أو أنثى حسب رغبتها والله جعل الإنسان خليفته في الأرض ليسبر غورها ويكتشف قوانين الكون ونواميسه، ويسر الله للإنسان هذا العلم، فلماذا نحرم الناس من ثمار العلم؟^(١٢٦).

الثاني: أن اختيار جنس الجنين، واتخاذ الوسيلة التي تساعد على ذلك من قبيل الأخذ بالأسباب، والأخذ بالأسباب أمر مشروع والمسلمون مطالبون به^(١٢٧).

أدلة أصحاب الرأي الثاني

استدل أصحاب هذا الرأي على أنه لا يجوز التدخل لاختيار جنس الجنين ولا طلب هذا بالكتاب والسنة والمعقول:

أولاً: الكتاب

قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ

الذِّكْرَ﴾^(١٢٨).

-
- ١٢٤ - عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ، ص ٤٧٨، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، التبصرة في أصول الفقه، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٥٣٢، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي، التعجير شرح التحرير في أصول الفقه، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٧٦٥.
- ١٢٥ - عبد العزيز محمد عزام، المقاصد الشرعية في القواعد الفقهية، دار البيان، ص ١٩ وما بعدها، ناصر بن عبد الله الميمان، النوازل الطبية، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٠هـ، ص ١٥٨.
- ١٢٦ - مصلح عبدالحى النجار وإياد أحمد إبراهيم، مستجدات طبية معاصرة من منظور إسلامي، ص ٩٩، زيد طارق نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، ص ٢٤٩.
- ١٢٧ - ماجدة محمود أحمد هزاع، "تحسين النسل من منظور إسلامي"، بحث منشور ضمن السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ١٤٣١هـ ج ٢، ص ١٩١٨.
- ١٢٨ - سورة الشورى، الآية: ٤٩.

وجه الدلالة

أن اختيار جنس الجنين يتضمن منازعة الله في خلقه وما اختص به من علم ما في الأرحام، فهو يتعارض مع مشيئة الله وإرادته وتحدُّ لقدرته سبحانه وتعدُّ على ملكه، فهو الرب الخالق المدبر المتصرف في ملكه كيف يشاء لا كما نشاء، ولا يكون إلا ما يريد فاختيار جنس الجنين تطاول على القدرة الإلهية التي جعلت التوازن بين الجنسين بحكمة ومقدار^(١٢٩).

ونوقش هذا: بأن اختيار جنس الجنين لا ينافي إرادة الله ومشيئته إذ لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، وما توصل إليه الطب من اختيار جنس الجنين إنما هو بقدرة الله ومشيئته، ولا يخرج عن دائرة الأسباب التي أقام الله عليها هذا الكون، فهو لا يخرج عن المشيئة الإلهية بل هو تنفيذ لها، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١٣٠) كما أن ما توصل إليه الطب بالوسائل الحديثة لا يتعارض مع هذه الآية، لأن الأطباء لا يستطيعون التحكم في جنس الجنين على وجه اليقين وإنما غاية ما توصلوا إليه أنهم استطاعوا أن يهيئوا بعض الأسباب لتلقيح البويضة بجنس الحيوان المنوي المطلوب وقد يفشلوا في تحقيق ذلك^(١٣١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا ضَلَّئَهُمْ وَلَا مَمِينَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتِكُنَّ إِذَا كُنَّ الْأَنْعَامَ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَعْيِرَنَّ

خَلَقَ اللَّهُ﴾^(١٣٢).

وجه الدلالة

أن اختيار جنس الجنين تدخل في خلق الله وتغيير له، فكما لا يجوز قطع آذان الأنعام ولا النمص ولا الوشم وغيره لأنه تغيير لخلق الله، فكذلك لا يجوز التحكم في الجنس، لأنه تغيير لخلق الله^(١٣٣).

-
- ١٢٩ - عوادي زبير، الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية والعلاج الجيني: دراسة فقهية، ص ٣٠١، سمية صالح، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، ص ٤٥٥.
- ١٣٠ - سورة التكويد، الآية: ٢٩.
- ١٣١ - سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢١٠، محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠٠٣.
- ١٣٢ - سورة النساء، الآية: ١١٩.
- ١٣٣ - علي محيي الدين القره داغي وعلي يوسف المحمدي، فقه القضايا الطبية المعاصرة، ص ٥٥٩، خالد بن زيد الوديناني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٨٢.

ونوقش هذا: بأن المحرم في تغيير خلق الله ما كان تغييراً لأصل الخلقة بالزيادة أو النقصان، وليس في اختيار جنس الجنين تغيير لخلق الله، فالطبيب لا يغير شيئاً، إنما يختار نطفة من مجموع النطاف، ويقوم بعملية التلقيح كالمعتاد، فإن شاء الله حصل الحمل وإن شاء فشلت العملية، فلا يعدو الأمر أن يكون أخذنا بالأسباب، أما النتائج فعلى الله عز وجل (١٣٤).

كما أن جميع إجراءات عملية اختيار جنس الجنين في جميع صورها تكون قبل تكوّن الجنين وتخلّقه فلا تغيير فيها (١٣٥).

قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٣٦).

وجه الدلالة

دلت الآية على أن الله وحده هو الذي يصور ما في الأرحام حسب مشيئته، وفي ذلك دلالة على أنه لا يوجد بشر يعلم جنس الجنين فضلاً عن التحكم فيه، فالقول بجواز اختيار جنس الجنين يتعارض مع هذه الحقيقة التي قررتها هذه الآيات (١٣٧).

ونوقش هذا الاستدلال من عدة جهات:

الأولى: أن الله يعلم جنس الجنين قبل تلقيح البويضة بالخلية الجنسية، والأطباء لا يعرفون ذلك إلا بعد حدوث التلقيح.

الثانية: أن علم الله بنوع الجنين قطعي، أما علم الأطباء فهو ظني قد لا يصدق.

الثالثة: أن علم الله لا يتوقف على مقدمات يستدل بها على المطلوب بخلاف علم الأطباء.

الرابعة: أن علم الله لما في الأرحام عام لكل ما يتعلق بالجنين من حياته وموته وسعادته وشقاوته ورزقه وعمله، فعلم الله بما في الأرحام تفصيلي لا يحيط به بشر مهما أوتي من العلم (١٣٨).

قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٣٩).

-
- ١٣٤ - عوادي زبير، الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية والعلاج الجيني: دراسة فقهية، ص ٣٠٢.
- ١٣٥ - خالد بن عبد الله المصلح، "رؤية شرعية في تحديد جنس الجنين"، ص ١٥ منشور على موقعه <http://www.almosleh.com>
- ١٣٦ - سورة آل عمران، الآية: ٩.
- ١٣٧ - سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢١١.
- ١٣٨ - محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠٤، ١٠٥، سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢١١، ٢١٢.
- ١٣٩ - سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

وجه الدلالة:

أن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سنة ونظاما، ومنه نظام التخليق، حيث أنشأ له سلوكا طبيعيا فطريا قويا، وهو اتصال الزوجين على الوجه المشروع، والتحكم في الجنين مضاد لذلك النظام. ونوقش هذا: بأن التحديد لا يغير النظام، لأنه نادر ومحدود، والنادر لا حكم له ولا يعد عبثا، لأنه من علاج العقم الذي سخره الله لنا^(١٤٠).

ثانيا: السنة

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله الواصلة والمستوصلة"^(١٤١) والواشمة^(١٤٢) والمستوشمة^(١٤٣).

وجه الدلالة

أن الشارع حرم تغيير خلق الله، واختيار جنس الجنين يعد نوعا من تغيير خلق الله، لأن فيه تدخل في الخلق الإلهي، وصرف له عن وجهته الصحيحة^(١٤٤).

ونوقش هذا: بأنه القياس مع الفارق، لأن المرأة تدخلت في خلق الله التماسا للحسن الزائد الزائف، وأما من حاول اختيار جنس جنينه بوسيلة مشروعة ولمصلحة يراها ويظنها، فلم يغير شيئا في اللقيحة، وإنما بذل الأسباب الموصلة إلى المطلوب فلا يدخل في النهي الوارد في الحديث^(١٤٥).

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك،

-
- ١٤٠- أيوب سعيد زين العطيف، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٠٤، ١٧٠٥.
- ١٤١- الواصلة: التي تصل شعر المرأة بشعر آخر، والمستوصلة: التي تطلب من يفعل بها ذلك. شرح النووي على صحيح مسلم، ج ١٤، ص ١٠٣.
- ١٤٢- ألواشمة: هي التي تشم يديها بأن تغرر ظهر كفها أو غيره من جسدها ببيرة حتى تؤثر فيها ثم تحشوه كحلا وتجعله كالنقش في جسدها تنزين بذلك. ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج ٩، ص ١٦٧.
- ١٤٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ج ٧، ص ١٦٥، حديث رقم ٥٩٣٣.
- ١٤٤- سعد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ، أحكام الهندسة الوراثية، ص ٢١٥، هيلة بنت عبد الرحمن الياصب، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٥٩.
- ١٤٥- محمد بن هائل بن غيلان المدحجي، أحكام النوازل في الإنجاب، ج ٣، ص ١٠٦.

ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة" (١٤٦).

وجه الدلالة

أن تقدير الذكر أو الأنثى بيد الله تعالى، كما فوض ذلك الملك الموكل، وهو يختص بمشيئة الله تعالى كما هو ظاهر اللفظ، فالتحكم بنوع الجنين معارض لذلك التقدير والتفويض (١٤٧).

ثالثا: المعقول من وجوه

الأول: أن القول بجواز اختيار جنس الجنين يؤدي إلى زيادة جنس على جنس، أو تفضيل جنس معين كما هو المعروف من ميل الناس إلى الذكور، وفي هذا إخلال بالمعادلة الطبيعية (١٤٨).

ونوقش هذا: بأن هذه العمليات يسمح بها على نطاق فردي في حدود الضرورة الطبية درءاً للأمراض الوراثية، أو في حالات الحاجة كمن أنجب بنات ويريد الحصول على ولد أو العكس، فلا يترتب عليه الخلل الذي يثير المخاوف، أما أن يسمح بها لعموم الأمة فلا شك أنه يفضي لما لا يحمد عقباه، والشريعة تأباه (١٤٩).

الثاني: إن التدخل الطبي لاختيار جنس الجنين قد يكون ذريعة لاختلاط الأنساب وذلك باختلاط الحيوانات المنوية والبويضات بعد أخذها من الزوجين بغيرها في المختبر، إما على سبيل الخطأ أو العمد، وسدًا لهذه المفسدة يحكم بتحريم التدخل الطبي لاختيار جنس الجنين (١٥٠).

-
- ١٤٦ - أخرجه البخارى في صحيحه، كتاب القدر، باب ذكر الملائكة، ج ٤، ص ١١١، رقم: ٣٢٠٨، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ج ٤، ص ٢٠٣٦، رقم: ٢٦٤٣.
- ١٤٧ - أيوب سعيد زين العطيف، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٠٦.
- ١٤٨ - علي محيي الدين القره داغي وعلي يوسف المحمدي، فقه القضايا الطبية المعاصرة، ص ٥٥٩، خالد بن زيد الوديناني، اختيار جنس الجنين، ج ٢، ص ١٦٨٢.
- ١٤٩ - عوادي زبير، الأحكام الشرعية لتطبيقات الهندسة الوراثية والعلاج الجيني: دراسة فقهية، ص ٣٠٣.
- ١٥٠ - سمية صالح، "حكم اختيار جنس الجنين في عمليات التلقيح الاصطناعي: دراسة مقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والقانون الجزائري"، ص ٤٥٥.

ونوقش هذا: بأن التقنيات الحديثة قد أصبحت على درجة عالية من الدقة واحتمال الخطأ قد أصبح ضئيلاً جداً، أو يكاد يكون منعدماً^(١٥١).

الثالث: أن تحديد جنس الجنين بالطرق المخبرية يستلزم كشف المرأة عورتها المغلظة أمام الطبيب الأجنبي عند استخراج البويضات منها، وعند إرجاعها للرحم بعد تلقيحها بهاء الزوج، وكشف العورة المغلظة إنها يباح للضرورة وليست هذه من مواطن الضرورة.

ونوقش هذا: بأن إجراء الطرق المخبرية إذا كان لوقاية الذرية من الأمراض الوراثية فإنه داخل في التداوي، وكشف العورة للتداوي مباح^(١٥٢).

أدلة أصحاب القول الثالث

استدل أصحاب هذا القول على التوقف في أمر اختيار جنس الجنين بما يلي:
قالوا: إن المسألة لم تتضح ملاحظتها بعد، والتجارب العلمية لم تصل إلى نتائج محققة للبشر لذا يجب الانتظار حتى تظهر النتائج، كما أن القضية تحتاج لمزيد من الدراسة، فلا ينبغي التعجل بإبداء رأي فيها^(١٥٣).
ونوقش هذا: بأن المسألة لم تعد مجرد نظرية، بل صارت ظاهرة طبية، ولها تداعيات في الواقع، فلا يسوغ التوقف إزاءها مع ما ينجم عنها من آثار طبية واجتماعية ولا مانع من منحها مزيداً من المتابعة والنظر^(١٥٤).

الرأي المختار

بعد ذكر الأدلة والمناقشات السابقة أميل إلى ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائل: بجواز اختيار جنس الجنين لقوة ما استدلوا به وهذا الجواز ليس على إطلاقه بل بشروط أهمها ما يلي:
الأول: ألا يؤدي اختيار جنس الجنين إلى الاعتماد على أسباب الاختيار، واعتقاد أنها موجبة لمسبباتها ونسيان الخالق، بل لا بد أن يمتلئ القلب إيماناً بأن الحصول على جنس معين إنما هو من الخالق سبحانه الخالق المدبر.

١٥١ - مازن إسماعيل هنية، ومنال محمد رمضان العشي، "اختيار جنس الجنين بسبب المرض الوراثي"، بحث منشور ب: مجلة

الجامعة الإسلامية، فلسطين، العدد الأول، المجلد السابع عشر، ٢٠٠٩م، ص ٤٠.

١٥٢ - هيلة بنت عبدالرحمن الياس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٦١، ١٧٦٢.

١٥٣ - ماجدة محمود أحمد هنزاع، "تحسين النسل من منظور إسلامي"، بحث منشور ضمن السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي

الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ١٤٣١هـ، ج ٢، ص ١٩٢٠.

١٥٤ - أيوب سعيد زين العطيف، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٤٥.

الثاني: ألا يؤدي استخدام تلك الطرق إلى إلحاق ضرر بالمرأة^(١٥٥).

الثالث: أن يتم هذا الاختيار بين خلايا جنسية مأخوذة من زوجين حال حياتهما.

الرابع: أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع اختلاط هذه الخلايا بغيرها^(١٥٦).

الخامس: أن يقوم بهذه العملية طبيب مسلم ثقة بحيث لا يخضع لرغبة الأبوين في ضبط جنس مولودهما إلا بعد التأكد من وجود حاجة ماسة لديهما^(١٥٧).

السادس: أن تتوافر الدواعي والأسباب عند الأسرة لاختيار جنس المولود، فإن لم يكن ثمة داع فلا يجوز اللجوء إلى تحديد جنس المولود واختياره قبل مجيئه إلى الدنيا، وهذه الدواعي إما أن تكون صحية أو نفسية، فمن الدواعي الصحية تجنب مرض وراثي يصيب جنسا واحدا من المواليد كمرض العامل (الرايزيسي)^(١٥٨) الذي يصيب جنس المواليد الإناث دون الذكور حيث يمكن الأسرة تلافي الإصابة بمثل هذا المرض باختيار جنس المولود الذكر دون الأنثى، ومن الدواعي النفسية تعدد المواليد الإناث في الأسرة دون الذكور^(١٥٩).

موقف القانون من اختيار جنس الجنين

حظرت غالب التشريعات الوضعية اختيار جنس الجنين بصفة عامة، سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي إلا لأسباب طبية، منها التشريع الفرنسي حيث جرمت المادة ٥١١/ع أي عمل يهدف إلى

-
- ١٥٥ - هيلة بنت عبدالرحمن اليابس، تحديد جنس الجنين، ج ٢، ص ١٧٠٨، فادية محمد توفيق أبو عيشة، موقف الشريعة من تحديد جنس الجنين، ص ١٠٩.
- ١٥٦ - ماجدة محمود أحمد هزاع، "تحسين النسل من منظور إسلامي"، بحث منشور ضمن السجل العلمي لمؤتمر الفقه الإسلامي الثاني: قضايا طبية معاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد الثاني، ١٤٣١هـ ج ٢، ص ١٩١٨.
- ١٥٧ - ناصر بن عبدالله الميمان، النوازل الطبية، ص ١٦٣، ١٦٤.
- ١٥٨ - العامل الرايزيسي: عدم توافق الدم Blood incompatibility بين الأم الحامل والجنين، ويعد من أسباب حدوث الإعاقة العقلية، حيث يكون هناك اختلاف في RH ودلت الدراسات على أن ٨٦% من البشر يحتوي دمهم على هذا المكون ويرمز إليه RH + و ١٤% لا يحتوي دمهم على هذا المكون ويرمز له RH -، فإذا حدث مصادفة أن تزوج رجل يمتلك هذا المكون بامرأة لا تمتلك هذا المكون في دمها، وأخذ الطفل دم أبيه لأنه سائد، يقوم دم الأم حينئذ بإنتاج أجسام مضادة تنتقل إلى دم الطفل عبر المشيمة، وإذا حدث ذلك فإن كريات الدم الحمراء تتلف لدى الطفل وينتج عن ذلك فقر دم واصفرار وتلف دماغي وغير ذلك.

<http://www.tarout.info/montada/showthread.php?t=51777>

- ١٥٩ - محمد بن يحيى بن حسن النجيمي، تحديد جنس الجنين، ج ٣، ص ٤١٢.

اختيار جنس الجنين وقررت معاقبة من يخالف ذلك بالأشغال الشاقة عشرين عاما، وكذلك جرمت المادة ٢٠/٢ من التشريع الأسباني عملية اختيار جنس المولود، وجرمت المادة ٢٤/٢ من التشريع السويسري عملية اختيار الجنس، وكذلك جرم القانون الألماني اختيار جنس الجنين ونص على أن أي فرد يمارس الإخصاب الصناعي على بويضة بشرية بمني بشري بعد اختيار نوع الحيوان المنوي الملقح لها يعاقب بالسجن سنة على الأكثر أو الغرامة.

وقد حظر المجلس الأعلى للصحة بتركيا اختيار النوع عن طريقة فرز الحيوانات المنوية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية فإن عدم تسبب إباحة الإجهاض يؤدي إلى إمكانية اعتبار اختيار النوع سببا مثل أي سبب آخر لتقرير الإجهاض الاختياري، وبالأولى اعتباره سببا لفرز البويضات المخصبة وإهدار غير المرغوب فيها ولكن للأسف الشديد لم تتدخل التشريعات في الوطن العربي لضبط عملية اختيار جنس الجنين سواء بصفة فردية أم جماعية^(١٦٠).

إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة بعد عملية إجراء الجنس المرغوب

تكلمنا سابقا أن من طرق اختيار جنس الجنين طرق مخبرية كالحقن المجهرية أو أطفال الأنابيب، وتتم هذه العملية في البداية بإعطاء حقن منشطة للزوجة مسبقاً، ومن ثم الخضوع لعملية سحب بويضات وتلقيحها بمني الزوج، وبعد التلقيح تتم إعادتها مرة أخرى إلى رحم الزوجة، وهذا الإجراء نتائجه شبه مؤكدة في الحصول على الجنس المرغوب فيه، إضافة إلى أن هذه الطريقة تتيح التأكد من خلو الجنين من أي أمراض وراثية أو علل جينية^(١٦١).

وسبب وجود بويضات زائدة هو احتياج عملية الحقن المجهرية أو أطفال الأنابيب للعديد من البويضات حتى تتم بنجاح، لأن تلقيح البويضات المستخرجة ليس لبويضة واحدة بل لجميعها، ثم يعاد منها عدد مناسب (حوالي ثلاث بويضات) إلى رحم المرأة وليس واحدة أو جميعها لأسباب طبية حيث تقل فرص نجاح التلقيح إذا تم نقل بويضة واحدة إلى الرحم أو حدوث حمل توائم عديدة تجهض مبكرا إذا

١٦٠ - السيد محمود عبد الرحيم مهران، الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر، ص ٣٧٩، محمد

ابن يحيى بن حسن النجيمي، تحديد جنس الجنين، ص ٤١٩.

١٦١ - مقال بعنوان: "تحديد جنس الجنين بين الصفات الشعبية والحقائق العلمية"، <http://www.lahamag.com>

وضعت جميع البويضات الملقحة لذا يوضع بعض منها^(١٦٢) وبالتالي بعد عملية الزرع ربما يكون هناك بويضات ملقحة زائدة، وقد اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم إتلاف هذه البويضات على رأيين: الرأي الأول: يجوز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة فتترك دون عناية إلى أن تنتهي حياتها على الوجه الطبيعي، وبهذا قال: الشيخ محمد الغزالي ويوسف القرضاوي وعمر سليمان الأشقر^(١٦٣) والشيخ محمد آصف المحسني^(١٦٤) وغيرهم ويبدو أن هؤلاء بنوا رأيهم على رأي الأحناف في الراجح عندهم وبعض الشافعية والشيعة الزيدية حيث أجازوا إجهاض الجنين مطلقاً قبل نفخ الروح فيه^(١٦٥) ومجمع الفقه الإسلامي^(١٦٦).

الرأي الثاني: لا يجوز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة وبهذا: قال حسن الشاذلي وعبد السلام العبادي وحسان حتوت^(١٦٧) وغيرهم ويبدو أن هؤلاء بنوا رأيهم على رأي المالكية في المعتمد عندهم، والأصح عند الشافعية والحنابلة في قول وابن حزم الظاهري والشيعة الإمامية حيث قالوا بتحريم إسقاط الجنين قبل نفخ الروح فيه في أي طور من أطوار النطفة أو العلقة أو المضغة^(١٦٨).

الأدلة

أدلة أصحاب الرأي الأول

استدل أصحاب هذا الرأي على جواز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة بالكتاب والقواعد الفقهية والمعقول:

-
- ١٦٢ - زياد طارق نجم الجبوري، اختيار جنس الجنين بين الشريعة والطب، ص ٢٥٨، ٢٥٩.
- ١٦٣ - إسماعيل مرحبا، البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٩هـ، ص ٥٥٠.
- ١٦٤ - محمد آصف المحسني، الفقه ومسائل طبية، ص ١٢٣.
- ١٦٥ - البحر الرائق، ج ٣، ص ٢١٥، شرح فتح القدير، ج ٣، ص ٤٠١، حاشية قليوبي وعميرة، ج ٤، ص ١٦٠، البحر الزخار، ج ٦، ص ٢٥٧، شرح الأزهار، ج ٢، ص ٣٢٠.
- ١٦٦ - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السادس، الجزء الثالث، ص ١٧٢١.
- ١٦٧ - إسماعيل مرحبا، البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية، ص ٥٥١.
- ١٦٨ - الدردير، الشرح الكبير، ج ٢، ص ٢٦٦، بلغة السالك، ج ٢، ص ٤٢٠، حاشية الدسوقي، ج ٢، ص ٢٦٧، فتح المعين، ج ٤، ص ١٣٠، حاشية إعانة الطالبين، ج ٤، ص ١٣١، حاشية الشرواني، ج ٧، ص ١٨٦، كشف القناع، ج ١، ص ٢٢٠، الفروع، ج ١، ص ٢٤٤، المحلّي، ج ١١، ص ٣٠ وما بعدها، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، ج ١٠، ص ٢٨٩.

أولاً: الكتاب

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (١٦٩).

وجه الدلالة

حيث أخبر المولى سبحانه أنه خلقنا من ماء ضعيف حقير مهين^(١٧٠) فيجوز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة، لأن هذا الوصف يدل على عدم حرمة هذه البويضات. ونوقش هذا: بأن البويضة الملقحة ليست ماء مهينا، لأن الماء المهين الذي تحدث عنه القرآن إنما هو ماء الرجل قبل التلقيح^(١٧١).

ثانياً: القواعد الفقهية

- قاعدة الضرورات تبيح المحظورات^(١٧٢).
- قاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة^(١٧٣).

وجه الدلالة

أن رحم المرأة لا يوضع فيه أكثر من ثلاث بويضات، والباقي لا يجوز وضعه في أرحام أجنبية، فكان لا بد من التخلص منها ضرورة^(١٧٤).

ثالثاً: المعقول من وجهين

الأول: قياس إهدار هذه البويضات على إهدار الحيوانات المنوية بالعزل^(١٧٥) بجامع عدم نفخ الروح مع وجود الحياة في كل. ونوقش هذا: بأن قياس إهدار البويضات الملقحة على العزل قياس مع

-
- ١٦٩- سورة المرسلات، الآية: ٢٠.
 - ١٧٠- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ١٥٩، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٥٩٤.
 - ١٧١- إسماعيل مرحبا، البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية، ص ٥٥١.
 - ١٧٢- ابن نجيم، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، ج ١، ص ٧٣، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج ١، ص ٤٥.
 - ١٧٣- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ص ٨٨، أبو العباس أحمد بن محمد مكي شهاب الدين الحسيني الحموي، غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٩٣.
 - ١٧٤- إسماعيل مرحبا، البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية، ص ٥٥٢.
 - ١٧٥- بغدالي الجيلالي، "الوسائل العلمية الحديثة المساعدة على الإنجاب في القانون الجزائري: دراسة مقارنة"، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الحقوق، جامعة الجزائر، ٢٠١٤م، ص ٧٤.

الفارق، لأن العزل يكون قبل تلقيح الحيوان المنوي للبويضة، ولا يوجد نص على المحافظة على الحيوانات المنوية قبل اتصالها بالرحم^(١٧٦).

الثاني: أن الحمل من الناحية العلمية هو التصاق البويضة الملقحة بجدار الرحم، والالتصاق هو علق البويضة الملقحة في الرحم، وهذه المرحلة لا تتم إلا بعد زرع البويضة الملقحة في رحم المرأة الراغبة في الحمل، أما قبل ذلك فليس هناك علمياً حمل، ومن ثم فلا مجال للكلام عن حرمة حمل لم يتحقق بعد، فهناك قبل العلق احتمال لم يتحقق له أول مراتب الحياة، وهو أن يعلق فينمو، فإذا لم يعلق فهو حقيقة فيه إمكانية حياة ولكن لم يقدر لها أن تبدأ^(١٧٧).

أدلة أصحاب الرأي الثاني

استدل أصحاب هذا الرأي على عدم جواز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة بما يلي:

- أن الحياة الإنسانية تبدأ منذ التلقيح، فيجب احترام هذه البويضة الملقحة، ولا يجوز إتلافها، لأنها تعتبر البدايات الأولى للإنسان^(١٧٨) وفيها حياة. ونوقش هذا: بأننا نسلم بأن البويضة الملقحة تحمل الحياة الإنسانية ولكن الحياة درجات ومراتب، والحيوان المنوي نفسه يحمل الحياة، والبويضة قبل تلقيحها أيضاً تحمل الحياة، ولكن ليست هذه ولا تلك الحياة الإنسانية التي تترتب عليها الأحكام^(١٧٩).
- أن البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة هي في الواقع أجنة في العرف العلمي والشرعي، وبما أنها أجنة فلها حرمة وكرامة ويجب أن لا يعتدى عليها بالوآد (الإعدام)^(١٨٠). ونوقش هذا: بأن الجنين هو الولد طالما كان في الرحم، فحرمة البويضات الملقحة مرتبط بمكان وجودها بقيمتها وحرمتها إنها تكون إذا كانت في الرحم، لذلك تسمى جنينا، أما البويضة الملقحة خارج الرحم فلا تعتبر بهذا المعنى جنينا^(١٨١).

١٧٦- إسماعيل مرحبا، البنوك الطبية البشرية وأحكامها الفقهية، ص ٥٤٩.

١٧٧- محمد المرسي زهرة، الإنجاب الصناعي أحكامه القانونية وحدوده الشرعية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٣م، ص ١٠٢، حسيني هيكل، النظام القانوني للإنجاب الصناعي بين القانون الوضعي والشرعية الإسلامية: دراسة مقارنة، ط ١، ٢٠٠٦م، ص ٤٤٢.

١٧٨- بغدالي الجليلي، "الوسائل العلمية الحديثة المساعدة على الإنجاب في القانون الجزائري: دراسة مقارنة"، ص ٧٥.

١٧٩- يوسف القرضاوي، "حكم إجهاض الحمل الناتج من اغتصاب"، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، العدد رقم: ٤٦٢ صفر ١٤٢٥هـ / مارس - إبريل ٢٠٠٤م، ص ٦١.

١٨٠- محمد المرسي زهرة، الإنجاب الصناعي أحكامه القانونية وحدوده الشرعية، ص ١٠٠.

١٨١- النظام القانوني للإنجاب الصناعي بين القانون الوضعي والشرعية الإسلامية: دراسة مقارنة، ص ٤٤٢.

الرأي المختار

بعد ذكر الأدلة والمناقشات السابقة أميل إلى الرأي القائل: يجوز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة فتترك دون عناية إلى أن تنتهي حياتها على الوجه الطبيعي لقوة ما استدلووا به، ولأن هذا لا يعد إجهاضاً، حيث إن النطفة لم تستقر في الرحم ولأن إتلافها يمنع العبث بها ممن لا يخاف الله عز وجل، سواء في تحقيق حمل غير مشروع، أو في تجارب لا تتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية^(١٨٢) وبهذا صدر قرار مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن البويضات المخضبة الزائدة، وجاء في القرار ما يلي:

١- في ضوء ما تحقق علمياً من إمكان حفظ البويضات غير ملقحة للسحب منها، يجب عند تلقيح البويضات الاقتصار على العدد المطلوب للزرع في كل مرة، تفادياً لوجود فائض من البويضات الملقحة.

٢- إذا حصل فائض من البويضات الملقحة - بأي وجه من الوجوه - تترك دون عناية طبية إلى أن تنتهي حياة ذلك الفائض على الوجه الطبيعي.

٣- يحرم استخدام البويضة الملقحة في امرأة أخرى، ويجب اتخاذ الاحتياطات الكفيلة بالحيلولة دون استعمال البويضة الملقحة في حمل غير مشروع^(١٨٣).

موقف القانون من إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة

لم ينص القانون المصري على إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة وهذا يعني أن هناك فراغاً تشريعياً، وبالتالي ليس هناك مفر من الرجوع إلى القواعد العامة، وبالرجوع إلى تلك القواعد نجد أن نصوص قانون العقوبات لا تخطئ الاعتداء على البويضات المخضبة خارجياً حيث إنها تحمي الجنين في بطن أمه فقط^(١٨٤).

أما بالنسبة للمشرع الفرنسي فإنه أباح إعدام الأجنة إذا لم يتم الاستفادة منها في مشروع أبوي حيث جاء نص المادة ٢١٤١. ٤ الفقرتين الثالثة والرابعة مؤكدة ذلك بنصها على أنه "في حالة عدم رد أحد الزوجين اللذين تم استشارتهما عدة مرات لمعرفة ما إذا كان متمسكاً بمشروعه الأبوي، فإنه يتم التخلص

١٨٢- فتوى الشيخ محمد أحمد حسين بشأن إتلاف البويضات الزائدة منشور على موقع دار الإفتاء الفلسطينية:

<http://www.darifta.org>

١٨٣- مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد السابع، ج ٣، ص ٥٦٣.

١٨٤- عطا السنباطي، بنوك النطف والأجنة، ص ١٢٧.

من هذه الأجنة فإنه يتم التخلص من هذه الأجنة إذا كانت مدة التجميد لا تقل عن خمس سنوات، والأمر كذلك إذا وقع خلاف بين الزوجين حول الاحتفاظ بمشروع الأبوة أو مصير الأجنة، وفي حالة موافقة الزوجين أو الحي منها على استلام أجنتهما وعبر عن ذلك كتابيا ولم يستلما الأجنة، فإنه يمكن إيقاف عملية تجميد هذه الأجنة إذا مرت خمس سنوات من يوم التعبير عن هذه الموافقة^(١٨٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضل جوده تنعم الموجودات، وكما حمدته سبحانه وتعالى في المقدمة أحمده سبحانه في الخاتمة، وأشكره على توفيقه، وبعد:

فهذا موضوع "اختيار جنس الجنين في ضوء الفقه الإسلامي" قد أتى على نهايته بعد توفيق من الله سبحانه وتعالى، وأرجو الله تعالى أن يكون بالتوفيق قد حالفتني، وعن الخطأ والزلل قد جانبني، إنه سبحانه سميع قريب مجيب، وقد بدا لي بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي تتمثل فيما يلي:

- أن معنى الجنين في اصطلاح الفقهاء لا يخرج معنى الجنين في اصطلاح الفقهاء عن المعنى اللغوي وهو الولد ما دام في البطن غير أن الفقهاء اختلفوا فيما يصدق عليه لفظ الجنين حال سقوطه وقبل تمام خلقه ونفخ الروح فيه.
- يراد باختيار جنس الجنين: ما يقوم به الزوجان من الأعمال والإجراءات الطبيعية بنفسيهما أو الطبية من خلال مختص يهدف تحديد ذكورة الجنين أو أنوثته.
- يقرر علماء الوراثة بأن عملية تحديد جنس الجنين من الناحية التكوينية تعود إلى التقاء زوجين من الصبغيات (الكروموسوم) على وفق ترتيب معين ينتج عنه المولود الذكر وترتيب آخر ينتج عنه المولود الأنثى.
- شغل أمر تحديد جنس الجنين ومعرفة نوعه شعوبا وأجناسا شتى على مر التاريخ، فميل البشر إلى إنجاب الذكور دون الإناث كان ميزة تميز كل الحضارات تقريباً، ولهذا ظهر وأد البنات في الحضارات القديمة وحتى عند العرب قبل بزوغ فجر الإسلام.
- اختلف العلماء في حكم اختيار جنس الجنين من الناحية العقائدية وقد اخترنا الرأي القائل: بأن ادعاء معرفة جنس الجنين ليس تطاولاً على مشيئة الله وإرادته ولا من ادعاء علم ما في الأرحام

لقوة ما استدلووا به، ولأن عمل الإنسان في اختيار الجنس لا يخرج عن المشيئة الإلهية بل هو تنفيذ لها فالإنسان يفعل بقدره الله ويشاء بمشيئة الله.

- يجوز اختيار جنس الجنين بالطرق الطبيعية، كالنظام الغذائي، والغسل الكيميائي، وتوقيت الجماع بتحري وقت الإباضة، لكونها أسباباً مباحة لا محذور فيها.

- اتفق العلماء المعاصرون على أنه لا يجوز اختيار جنس الجنين على نطاق الدول والمجتمعات، لأنه يؤدي إلى الإخلال بالنواميس الكونية، ولأن فيه تفضيل جنس على جنس، فهو مضاهاة لفعل أهل الجاهلية.

- اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم اختيار جنس الجنين على مستوى الأفراد بالوسائل المخبرية وقد اخترنا الرأي القائل: بجواز اختيار جنس الجنين لقوة ما استدلووا به، وهذا الجواز مقيد بشروط منها: أن تتوافر الدواعي والأسباب عند الأسرة لاختيار جنس المولود، وأن تتخذ الاحتياطات اللازمة لمنع اختلاط هذه الخلايا بغيرها، وأن يتم هذا الاختيار بين خلايا جنسية مأخوذة من زوجين حال حياتهما.

- حظرت غالب التشريعات الوضعية اختيار جنس الجنين بصفة عامة، سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي إلا لأسباب طبية.

- بينت اختلاف الفقهاء في حكم إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة واخترت الرأي القائل بجواز إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة فترك دون عناية إلى أن تنتهي حياتها على الوجه الطبيعي لقوة ما استدلووا به، ولأن هذا لا يعد إجهاضاً، حيث إن النطفة لم تستقر في الرحم.

- لم ينص القانون المصري على إتلاف البويضات الملقحة الزائدة عن الحاجة وهذا يعني أن هناك فراغاً تشريعياً، وبالتالي ليس هناك مفر من الرجوع إلى القواعد العامة، وبالرجوع إلى تلك القواعد نجد أن نصوص قانون العقوبات لا تحطى الاعتداء على البويضات المخضبة خارجياً حيث إنها تحمي الجنين في بطن أمه فقط.
